

أحوال العالم الإسلامي المعاصر في عهد الملك عبد العزيز

الأستاذ / محمد عبد الله السمان

دكتور / شوقي عطا الله الجمل الأستاذ الدكتور / محمد فتحي عثمان





مقدمة

عاشت الدولة الإسلامية في عهد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين ، وفي عصر الدولة الأموية ، ثم في عصر الخلافة العباسية الأولى - دولة متحدة الأهداف قوية الوسائل ساعية لبناء حضارة عربية إسلامية فاقت جميع الحضارات المزدهرة ولكن الدولة الإسلامية مالم يثبت أن تعرضت للتفكك السياسي ، نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية ، تمثلت العوامل الداخلية فيما يأتي:

- ١ - الخلافات الحزبية والمذهبية ، المتمثلة في ظهور الحركات الشيعية والسبئية والخارجية وغيرها من المذاهب الهدامة التي أثرت في جسم الدولة الإسلامية وعقيدتها .
- ٢ - ظهور وإحياء العصبية القبلية التي كان الإسلام قد اهتم بالقضاء عليها وإحلال الوحدة العقدية والإيمانية مكانها .
- ٣ - ظهور الشعوبية بمحاولة البعض الدعوة إلى إحياء العرقية كالفرس والترك وغيرهم ، ردا على الحكم العربي الخالص في زمن الدولة الأموية ثم في عهد الدولة العباسية .
- ٤ - طموحات العناصر الدخيلة ، مثل الخراسانيين الفرس ومثل الأتراك والبويهيين وغيرهم ، الذين طمعوا في ارتقاء كرسى الخلافة أو السيطرة عليه .
- ٥ - ظهور العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة عن جسم الدولة الإسلامية الكبرى ، سواء في شرق العالم الإسلامي أو في مغربه .
- ٦ - عدم الإدراك الواعي لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين ، حيث لا رهبانية ولا كهنوتية ولا انعزالية في الإسلام ، بل استفادة من جميع الحضارات فيما يتصل بقضايا الحضارة في إطار ثوابت الإسلام .

وأما العوامل الخارجية المستقلة عن تفكك الدولة الإسلامية الكبرى فإننا نسوق أهمها فيما يلي
أولاً : العدوان الصليبي والمغولي والاستعماري :

تعرضت الدولة الإسلامية لعدوان صليبي من خلال الحملات الصليبية التي تصدى لها عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ومن بعده أبنائه ملوك الدولة الأيوبية ، وأنهى وجودهم سلاطين الدولة المملوكية في مصر والشام .
كما تعرضت الدولة الإسلامية لغزو المغول عام ٦٥٦ هـ الموافق لعام ١٢٥٨ م حيث تمكنوا من تقويض الخلافة العباسية بعد أن استمرت في الحكم قرابة خمسة قرون ونصف (١٣٢ ٦٥٦ هـ) ثم حاولوا اجتياح بقية العالم الإسلامي لولا وقوف مصر الإسلامية ضد هذا الغزو وإنهاء هذا الزحف المدمر للحضارة الإسلامية عند « عين جالوت » بفلسطين عام ٦٥٨ هـ الموافق ١٢٦٠ م .

فى أثناء ذلك كانت الصليبية تستعد لعدوانها على العالم الإسلامى الذى كان يقترب رويداً رويداً من رتبتيها المسيحتين فى روما وبيزنطة ، وظهرت فى أوربا موجة صليبية عاتية تنجيه للقضاء على الكيان الإسلامى ، وقد بدأت هذه الموجة أول ضرباتها فى الأندلس فى محاولات نجحت فعلاً - فى القضاء على الوجود الإسلامى فى أسبانيا ، وفى الوقت نفسه كانت الحملات الصليبية تتابع واحدة بعد الأخرى ، إلى أن تمكنت الوحدة المصرية الشامية بقيادة صلاح الدين الأيوبي من وقف هذا المد الصليبي .

ليس من شك فى أن ذلك كله قد أصاب العالم الإسلامى بضربات شديدة فى مختلف مواقعه ، مما أتاح للحركة الاستعمارية النصرانية الحديثة أن تجد سبيلها الميسر إلى مختلف أراضيه ، فتحوّلت الشعوب الإسلامية إلى أقواء مستهلكة لكل ما ينتجها الانقلاب الصناعى الأوربي ، وبدأ الأمر باحتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ م ، ثم احتلال إنجلترا لعدن سنة ١٨٣٩ م ومحاولة فرض السيطرة على شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، واحتلت فرنسا تونس ١٨٨١ م واحتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ م ثم لم تلبث أن احتلت إيطاليا ليبيا واحتلت فرنسا مراكش ، ولم تكد تنتهى الحرب العالمية الأولى (١٩١٨) حتى كان الهلال الخصيب كله تحت الاحتلال الأجنبي .

ثم كانت الطامة الكبرى حين تمت الزيجة السياسية الفاجرة بين الإمبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت هدفة هذه الزيجة تقديم فلسطين للصهيونية العالمية ، ومنذ ذلك الوقت والإمبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية تشكلان أكبر خطر يهدد العالم العربى والإسلامى بوجه عام .

ثانياً : حركة الاستشراق :

ولم يقتصر العدوان الخارجى على العالم الإسلامى على جانبيه المادى والعسكرى ، وإنما تمثل أيضاً فى عملية التسرب الفكرى والثقافى التى تعتبر أشد خطراً وفتكاً ، فمنذ القرن الخامس عشر الميلادى ومحاولات المخاطرين والمكتشفين الأجانب مستمرة فى العدوان على تراثنا الفكرى والثقافى بطرق وأساليب مختلفة ، منها ما يتسم بالعلنية ، ومنها ما يتسم بالسرية ، وأنشئت كليات ومعاهد الاستشراق فى دول أوربا الغربية ، حيث كان ينقل إليها ما أمكن حمله من مصادر التراث الإسلامى .

وكثيراً ما قرأنا وسمعنا لعشرات البعثات الاستكشافية والإرساليات التنصيرية الموفدة من المعاهد الاستشراقية والهيئات الكنسية ، التى كانت تستهدف فى الأصل الاستشار بالمصادر الإسلامية ، وغسل العقول البدائية من أركان العقيدة . وأنشئت المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية فى الداخل ، كما ألقت الكتب والمراجع المليئة بالمغالطات المكشوفة عن الدين التاريخ

وليس من شك في أن ما قامت به الجامعات الإسلامية ، وما زالت تقوم به من كشف لهذه المغالطات بالأساليب العلمية الصحيحة - إنما يمثل دوراً أساسياً في إضعاف موجات الإلحاد والنشكيزك والتيارات الفكرية المنحرفة التي قد يتعرض لها الشباب الإسلامي .

ثالثاً : بعد مسافة التحضر بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية :

يضاف إلى كل ما سبق بعد مسافة التحضر بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية ، ذلك البعد الذي يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم ؛ بسبب عملية التطور العلمي والتكنولوجي في الدول الصناعية ، خاصة وأن هذه الدول تسمى جاهدة للحيلولة دون المحاولات التي تبذلها الدول الإسلامية للحصول على التكنولوجيا الحديثة ، وانتقالها من مرحلة الدول المستهلكة إلى مرحلة الدول المنتجة .

وعلى الرغم من الخلافات التي قد تبدو بين الكتل المتصارعة في عالم اليوم ، إلا أنها تتفق على شيء واحد ، وهو الوقوف في وجه هذا العملاق الإسلامي بشتى الطرق لأنهم يقرأون التاريخ ويعلمون إلى أي حد تمتد جذور هذا العالم الإسلامي إلى الأعماق .

ولعلنا نذكر في هذا المجال ذلك المؤتمر ، الذي عقد في لندن سنة ١٩٠٧ واكتمل فيه حضور كل الدول الصناعية الاستعمارية برئاسة كامبل بنرمان رئيس الوزراء البريطاني ، وكان هذا المؤتمر ينظر في الوسائل التي توصل إلى الإبقاء على الظاهرة الاستعمارية ، في مواجهة حركات التحرر ، وانتهى النقاش إلى أن العالم الإسلامي يشكل الخطر الرئيسي لمستقبل الدول الصناعية . وكانت العقيدة القرآنية واللغة المشتركة من بين الأسس التي روى التركيز على ضرورة إضعافها وتصفيتها ، ووضعت سياسة هذا المؤتمر على أساس تشجيع اللهجات العامية ، وإضعاف العقيدة الإسلامية ، وإثارة الطائفية الدينية والعنصرية ، وخلق دولة يهودية في قلب هذا العالم الإسلامي تمتص كل موارده القومية الرئيسية ، وزيادة مساحات التخلف بين الدول الصناعية المتقدمة والدول الإسلامية النامية .

وعلى الرغم من امتلاك العالم الإسلامي لأكبر نسبة من أعظم مصادر الطاقة وهو البترول ، واعتماد الدول الصناعية على هذا النفط - إلا أن السياسة المخططة لهذه الدول بمؤسساتها الضخمة وشركاتها العالمية وإمكاناتها الواسعة تحول دون شك في الوصول إلى ما تصبو إليه الدول البترولية الإسلامية من تطور وتقدم يواكب التطور والتقدم العالميين .

ويمكن القول : إن العالم الإسلامي تعرض منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي لعوامل تخلف وفوضى نتيجة الغزو الصليبي والوجود التركي في آسيا الصغرى ، ثم جاءت الغزوة

المغولية عام ١٢٥٨م على الجناح الشرقي للعالم الإسلامي - إيران فالعراق - لتزيد من تخلف المسلمين وتضرب الحضارة العربية الإسلامية ضربة قاصمة غير تلك الضربة التي لحقت بالعرب والمسلمين بخسارتهم الأندلس لصالح الكاثوليك الأسبان .

وكان سقوط العالم العربي تحت الحكم العثماني منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي عاملا آخر لتدهور أحوال المسلمين بسبب ما اتصف به الحكم العثماني من سلبات أهمها العزلة التي فرضت على العالم العربي والإسلامي ، في الوقت الذي لم تكن للأتراك فيه حضارة يفيدون بها العرب ، وفي الوقت الذي أخذت أوروبا فيه تنهض وتسير في طريق التقدم وال عمران ، إلى جانب الاستبداد والظلم التركي للعرب والمسلمين المحكومين الذين تأخروا في كل نواحي الحياة حتى فقدوا قوتهم وباتوا لا قبل لهم بملاقاة الغرب في أي ميدان

وزاد الطين بلة أن القرن الثامن عشر الميلادي شهد تدهورا أكبر في أحوال العرب والمسلمين بظهور ما عرف بالحركات الانفصالية أو

الاستقلالية في الولايات العربية الخاضعة للحكم العثماني ، تلك الحركات التي كانت في جملتها مغامرات شخصية لأفراد من الأتراك أو المماليك المغامرين الذين كان هدفهم ارتقاء كراسي الحكم والحصول على مغنم مادية كبيرة ، والضحية في كل الأحوال كانت الشعوب العربية والإسلامية ، في الوقت الذي ضعفت فيه الدولة العثمانية فلم تقو على السيطرة على ممتلكاتها وخضعت لما فرض عليها ، قانعة بما يلقيه هؤلاء المغامرون من فتات من الأموال التي يجمعونها قسرا وبسراة من الرعايا العرب والمسلمين .

في نفس القرن - الثامن عشر - وفي القرن التالي (التاسع عشر) أخذ الاستعمار الأوروبي يحقق وجوده بقوة على الأرض الإسلامية ، حيث شهدت الهند المطامع البريطانية التي انتهت بسيطرة كاملة لبريطانيا على الهند ، ثم على عدن ثم مصر والسودان وأقطار الخليج العربي ، بينما عبرت روسيا القوقاز وبسطت سيطرتها على أواسط آسيا ، في الوقت الذي وجد فيه الاستعمار الفرنسي طريقه إلى أقطار الشمال الإفريقي العربية الإسلامية . وقاسى المسلمون تحت الحكم الاستعماري في حياتهم الاقتصادية والدينية والعلمية بما أثر في قوتهم وفي حضارتهم التي كانت مزدهرة يوما ما .

وخير تصوير لحال المسلمين في القرن التاسع عشر ما ذكره الكاتب الأمريكي " لوثرروب ستودارد " في كتابه " حاضر العالم الإسلامي " عند حديثه عن اليقظة الإسلامية في القرن التاسع عشر ، إذ يقول :

" كان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ

، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبات العلم الفسيحة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي - في ذلك العهد - سوى المستبدين الغاشمين ، وبعض سلاطين تركيا وسلاطين أواخر ملوك المغول في الهند ممن كانوا يحكمون حكما واهنا^٩ .

وفي حياة المسلمين الدينية والاجتماعية لعب رجال الدين المستبدون وغير الأتقاء دورا سيئا ، حيث كثر عدد الأعداء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمام والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، يرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصاروا يشربون الخمر ، وانتشرت الرذائل ، فقلت الأيدي وقعدت عن طلب الرزق وكساد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بوارا شديدا وأهملت الزراعة أيما إهمال .

وكانت مصر - منارة العالم الإسلامي آنذاك بوجود الجامع الأزهر وعلمائه ومؤسسات التعليم الحديث التي أوجدها محمد علي وحفيده إسماعيل - تعيش في الأخرى عصرا من الفوضى وسوء الحكم ، فلم يكن المصريون آنذاك يرون شئونهم العامة فقط بل الخاصة أيضا ملكا لحاكمهم الأعلى ومن ينيبه عنه في تدبير أمورهم ، يتصرف فيها بحسب إرادته ، يعتقدون أن سعادتهم وشقاءهم موكولان إلى أمانته وعدله ، أو خيائته وظلمه ، ولا يرى أحد منهم لنفسه رأيا يحق له أن يديه في إدارة بلاده ، أو إرادة يتقدم بها إلى عمل من الأعمال يرى فيه صالحا لأمته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم محكومون مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة ، وكانوا في غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أم أوربية

وكانت أحوال الشرق الإسلامي عامة تسير من سيئ إلى أسوأ ، فالجهل والخرافات والأوهام والعادات السيئة والبدع انتشرت بين المسلمين ، كما انتشر بينهم داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم ، فأخذهم الفقر في كل أقطارهم على غنى بلادهم واتساعها وخصبها ، وشملهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم وتركوا بلادهم نهبا مقسما بين الأوروبيين ، ورضوا بأن يكونوا له خداما طائعين .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما أصاب المسلمين من إسراف وتبذير في الإنفاق على أفراحهم وأمواتهم ، إلى جانب داء التواكل الذي كبل عقولهم عن التفكير وأيديهم وأرجلهم عن العمل والسعي ، فأسلموا أمرهم للأجنبي ، وصاروا يتمسكون بأمثال مثبطة للهمم مؤدية للشلل

الإجتماعى مثل قولهم: "سيها على الله" و"لا تفكر ولها مدير"
"أصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب" و"إنما أعيتكم الأمور فليكن بأصحاب القبور".

إلى آخر هذه الأقوال والأمثال المهلكة والقاتلة !!

كما يمكن أن نضيف أيضاً جانباً آخر ، وهو سوء الحكم وقسوة الحكام الذين أسهموا فى سوء أحوال المسلمين بابتزاز أموالهم بكل قسوة ، كما أنهم كانوا يفرضون عليهم الجهل والارهاق ، ويعطون الأوروبيين امتيازات اقتصادية ودينية وقضائية فى بلاد المسلمين لا يتمتع بها المسلمون أنفسهم ، ومن ثم صارت حياة المسلمين نهبا للحكام الأتراك والأجانب المحتمين بالامتيازات ، فكانت تلك الأيام وبالا على الحكومة والأهالى جميعاً ، وكانت سعدا ورييحا للتجار وأرباب البنوك - المصارف - الغرباء الدخلاء الذين انتشروا بين أبناء البلاد انتشار الذئب بين الأغنام ، فأنقلت كواهل الفلاحين وغيرهم من الوطنيين بالديون الهائلة واضطروهم العجز لبيع أملاكهم ورهن عقاراتهم وأراضيهم أو الانسلاخ منها بالكلية وأحاط بهم الفقر وصاروا فى أسوأ حال .

كانت تلك أحوال المسلمين التى أثارت مصلحا مثل جمال الدين

الأفغانى - مع اختلافنا معه فى بعض القضايا - وتلميذه الشيخ محمد عبده المصرى للتقدم بفكرة (الجامعة الإسلامية) لعلاج تلك الأحوال التى كان أخطر ما فيها الاعتقاد الذى ساد بين المسلمين بوجود تعارض بين الإسلام كدين وعقيدة وبين التقدم المادى الحديث ، والنظر إلى الحضارة الأوروبية الحديثة نظرة شك وخوف مما يدفعهم إلى الابتعاد عن الأخذ بأسبابها ، وساعدهم على ذلك وجود الحكم التركى الذى عمل على إبعاد المسلمين عن الأخذ بأسباب التقدم الحضارى الأوروبى ، وفى الوقت نفسه إعطاء الأجانب امتيازات متنوعة فى الأقطار الإسلامية حيث يمارسون الاستغلال والاحتكار ويكرسون فى المسلمين تخلفهم الحضارى .

وهذا الكتاب يقدم صفحة العالم الإسلامى فى عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تغمده الله برحمته ، ذلك الملك الذى عمل ، وأنشأ الدولة السعودية وسار بها فى هذا الخضم المتلاطم الأمواج ، الذى يكشف عن وضعية مؤسفة كل الأسف تؤكد كل خلية فيها أن المسلمين قد انفصلوا عن حقائق دينهم العظيم ، كما انفصلوا عن روح عصرهم ، فلا هم فازوا بالنقل الصحيح الذى وكل الله أمر تبليغه إليهم ، ولا فازوا بالعقل الصحيح الذى يستطيع منافسة الأوروبيين ، والحفاظ على الجوانب المادية والمعنوية فى حضارتهم ...

لقد نسوا رسالة الوحي ، فأنساهم الله وسيلة العقل !!

المبحث الأول
أحوال العالم الإسلامي المعاصر
في عهد الملك / عبد العزيز آل سعود
للمفكر الإسلامي الأستاذ / محمد عبد الله السمان

مقدمة

إن الموضوع الذى اخترته فى هذه المناسبة الكريمة ، هو : أحوال العالم الإسلامى المعاصر لجلالة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - وهذه المرحلة تمتد إلى أكثر من نصف قرن ، وإذا كنا نركز بشئ من الاهتمام على المنطقة العربية ، فذلك لسببين رئيسيين .

الأول : لأن جلالة الملك عاش فى هذه المنطقة ، وكان يمثل جزءا مهما فى سياستها : الداخلية والخارجية معا .

الثانى : لأن العالم العربى جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامى ، بل جزء مؤثر فيه ، لذا اهتم الاستعمار الصليبي اهتماما كبيرا - إلى جانب الشيوعية ومن نسج على منوالها - لكى يفصل بين العالمين : الإسلامى والعربى فصلا سياسيا ، ويفصم بينهما فصما معنويا ونفسيا .

والحق أن هذا الموضوع متشعب الجوانب ، رحب المداخل والمخارج ، وهذا يقتضينا أن نعرض - وبإيجاز - لمخاور ثلاثة - فحسب - وهى تمثل المحاور الرئيسية لهذا الموضوع الجدير بالعرض والبحث :

الأول : محور الاستعمار الأوروبى الذى استقر فى العروبة والإسلام ، ولديه منهج وخطة عمل لتحقيق أهدافه : السياسية والاقتصادية والثقافية .. وفى ظل الاستعمار وحمايته ، ينشط التبشير فى تحد وصلف .

الثانى : تعرض الخلافة الإسلامية للاهتزازات العنيفة ، وقد كان للاستعمار دور رئيسى فى ذلك ، أعانه على ذلك سوء الإدارة فى دار الخلافة ، واستعداد عناصر معادية للاستيلاء على مقاليد الأمور فى عاصمة الخلافة .

الثالث : نشاط الحركة الصهيونية فى المنطقة ، لتحقيق هدفها المنشود ، وبخاصة بعد انعقاد مؤتمرها الأول فى بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م ، وبعد صدور وعد بلفور فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ .

واعتقد أن هذا الموضوع يفرض علينا أن نشير إلى بعض الحقائق :

أولا : أن المرحلة التى نعرض لها على مسار أكثر من نصف قرن ، بلغت فيها الأحوال السياسية للعالم العربى والإسلامى من سوء أقصاه ، كان واقعها مريرا ، ووقعها

أشد مرارة ومضاضة معا .

ثانيا : أن ما فعله الاستعمار بكافة مخططاته ومؤامراته ، بالعرب والمسلمين كان أقل بكثير مما فعله العرب والمسلمون بأنفسهم ، وكانت العلل والأسباب أكثر من أن تحصى .

ثالثا : أن هذه المرحلة المريرة لم يسدل عليها الستار بعد ، ولم تنته بانتها زमानها ، بل لقد أثمرت ثمرات مريرة ، ظللنا - وما نزال - نجنيها ، ونتجرعها على مضض حتى اليوم ..

رابعا : أن الماضي مرآة للحاضر ، وأن المستقبل امتداد للحاضر ، وما لم نقد دروسا من الماضي ، ونعد حاضرا لمستقبلنا ، فسوف نصل - إلى ما شاء الله - كمن يحرقون في البحر ..

خامسا : ولكي نكون صرحاء - على الأقل - مع أنفسنا ، فنواجهها بالحقائق - وإن كانت مريرة - خير لنا من أن ندفن رؤوسنا في الرمال ، يجب أن نعترف بأن واقع الأمة العربية والإسلامية واقع مرير ، وهذا يفرض علينا أن نبحت عن العلل ، ونتخلص منها ، ونبحث عن المخرج ، ونأخذ بالأسباب التي تؤدي إليه ، ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ .

سادسا : أن علة العلل التي ظلت في الماضي القريب - منذ أوائل هذا القرن - تأكل في جسد الأمة ، واليوم تنخر في عظامها ، هذه العلة ، هي الفقرة التي غرس الاستعمار بذورها ، وتولينا - نحن العرب والمسلمين - إنباتها ورعايتها ، حتى أثمرت ، وجنينا - وما نزال - ثمارها ، علقما ومرارة .. !

وبعد :

فإنه لمن دواعي السرور ، أن يعقد بالكنانة وعلى أرضها مؤتمر عربي إسلامي عن ملك عربي مسلم ، يمثل مسيرة بطل ، ومولد دولة : إنه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، مؤسس الدولة الشقيقة .. المملكة العربية السعودية .

أجل : كان هذا العاهل الكبير - رحمه الله - بطلا - وما أندر الأبطال الذين هم على شاكلته ، ومؤسس دولة .. وما أكثر الدول التي أسست ، وقامت وقعدت ، ونهضت وكبت ، وازدهرت وخبت ، لأنها قامت على غير أساس ، وكأنها نسيج من خيوط العنكبوت .. أما الدولة العربية الإسلامية التي أسسها الملك البطل وفهد الصحرء ، فقد

قامت على أساس متين ، وأصل ثابت ، قامت على التوحيد ، ولأول مرة فى التاريخ بعد عصر الإسلام الذهبى ، تقوم مثل هذه الدولة النموذجية على هذا الأصل وذاك الأساس . وبذلك استرد اعتبار الإسلام الصحيح الذى رضىه الله لعباده دينا ، فى جزء عزيز من أرض العروبة وأرض الإسلام .. لقد كان الملك الراحل أول من دعا إلى عقد مؤتمر عربى إسلامى ، فى تاريخ العصر الحديث فى مكة المكرمة عام ١٩٢٦ م ، وشهده زهاء سبعين يمثلون العالم العربى والإسلامى ، وذلك لمناقشة أحوال العرب والمسلمين .. ومؤتمر اليوم من أجل الملك العربى المسلم البطل ، وكان تاريخه وسيرته منطلقا لرجعة أوراقنا من جديد ، تجاه قضايا العروبة والإسلام .. على ضوء ما كان ، وما هو كائن ، وما سوف يكون .

وهذا هو الهدف المنشود .

والله الموفق .

محمد عبد الله السمان

المحاور الثلاثة

كلمات أولى :

ذكرت أننا حين نعرض للأحوال السياسية العربية والإسلامية المعاصرة لحياة العاهل الراحل الملك عبد العزيز ، إنما نعرض من خلال محاور ثلاثة رئيسية :

محور الاستعمار وتوابعه ، ومخططاته ومؤامراته وألغبيته .

محور الخلافة الإسلامية ، وما واكب أيامها الأخيرة من ظروف تعسة .

ثم محور الصهيونية العالمية ، وأخطر الأدوار التي لعبتها ، حتى حققت أهدافها ، وكان لها ما أرادت .

أجل : من خلال هذه المراحل الثلاث ، أو المحاور الثلاثة ، يمكن أن نقف على حقيقة الأوضاع التي سادت على مسار النصف الأول من هذا القرن الميلادي ، وهذا لا يغنى عن الإلمام بسوابق هذه الفترة ، وهى التى مهدت لها ، ولواحقها التى كانت بمثابة النتائج المريرة لها ..

وأضيف هنا :

أن هذه المحاور الثلاثة ، قد أسهمت معا فى صنع الأوضاع التى لا جدال فى أنها كانت أوضاعا حزينة بالغة المرارة ، أسهمت فيها الصهيونية والاستعمار إيجابا ، وأسهم ضعف الخلافة الإسلامية سلبا ..

وقد يقال :

وكأنك تسقط من الحساب الرعية والرعاة ، ومسئوليتهم عن الأوضاع ؟

وأقول :

لا يمكن أن نسقطهما من الحساب ، وقد كان مكانهما اللائق بهما فى القائمة السوداء ، كانت الرعية منهوكة القوى ، فاعتزلت الحلبة ، وكان الرعاة يدورون حول مصالحهم ، أما مصلحة البلاد ، فهى آخر شئ يدور بخلد هم .. ولا أعتقد أن فى هذا القول شيئا من الغلو أو المغالاة ، وقد لا يسعفنا التاريخ المكتوب ، ولكن لا شك أن التاريخ الواقعى أو الموضوعى هو الذى يسعفنا ، ودليلنا على ذلك :

أولا : أن الخلافة الإسلامية لفظت - فى تلك المرحلة - أنفاسها الأخيرة ، ولم يترحم

عليها أحد ..

ثانيا : أن الاستعمار الصليبي ، ظل جائثا على صدر العالم الإسلامي والعربي ، يمارس سائر أنشطته في التسلط والابتزاز ..

ثالثا : أن الصهيونية قد حققت هدفها المنشود ، وتحولت بعد أن استقرت في أرض العرب المغتصبة دولة .. إلى أفعى ، ذنبها ثابت في إسرائيل ، ورأسها منطلق في الأرض العربية والإسلامية ينفث سموه .

رابعا : ظهرت الشيوعية على المسرح ، وانطلقت تنافس الاستعمار الأروبي الصليبي، واستطاعت أن تتخذ قواعد لها في أرض العروبة والإسلام ، بعد أن توافر لها عملاء منتمون إلى العروبة والإسلام بشهادات الميلاد ..

خامسا : أن أصدق دليل هو واقع الأمة العربية والإسلامية اليوم ، وهو يغنى عن الإيجاز والإسهاب : أمة مهبط الجناح ، فقدت أبسط مقومات الحياة الطيبة ، وهذا الواقع المرير ليس إلا من مخلفات الماضي القريب بوجهه القبيح وما هو أسوأ من ذلك . وأشد مضاضة على النفس ؛ أننا منذ زمن غير بعيد كان عدونا الأوحـد والألد هو الاستعمار ، وأصبحنا اليوم أعداء أنفسنا ، يقتل بعضنا بعضا ، وتركنا إسرائيل تتمادى في الغي والعدوان عليـه ، وتخرج لسانها لأكثر من مائة مليون عربي ، وزهاء ألف مليون من المسلمين .. وهذه هي الكارثة ! !

إن الحديث عن الاستعمار الأروبي الصليبي حديث يطول شرحه ، ولكن الذى يهمنا بالنسبة للمرحلة التى نحن بصددھا أن نجلّى بعض النقاط :

أولا : أن الاستعمار فى حقيقته لم يكن إلا امتدادا للحروب الصليبية .

ثانيا : أن الاستعمار كاد يغطى سائر أرض العروبة والإسلام .

ثالثا : أنه فى ظل الاستعمار ازداد نشاط التبشير الصليبي والغزو الثقافى الأجنبى .

هذه هى النقاط الثلاث الرئيسية ، ونحن هنا نتجاوز — من ناحية — الغزو الشيوعى ، لأن روسيا لم تبدأ انفتاحها على إفريقيا وآسيا إلا بعد الحرب العالمية الثانية ، وإن كانت قد مهدت لذلك باتخاذ جيوب لها من عملائها ، تمارس نشاطها فى الظلام — وبخاصة فى أوساط العمال — ولا تظهر على السطح إلا أحيانا قليلة ، ومن ناحية أخرى — نحن نركز على المنطقة العربية ، باعتبارها مركز الدائرة بالنسبة للعالم الإسلامى ، وباعتبار أن لها تأثيرا

مباشراً على العالم الإسلامى .

ولنعرض هذه النقاط الثلاث بإيجاز :

أولاً : الاستعمار .. والحروب الصليبية :

أقول : إن الاستعمار الأوروبى الصليبيى للديار العربية والإسلامية لم يقع إلا امتداداً للحروب الصليبية ، التى بدأت فى العقد الأخير من القرن الخامس الهجرى ، واستمرت زهاء أربعة قرون ، ونحن لا نتجنى على الاستعمار ولا على التاريخ بل نحفظ عن ظهر قلب عبارة اللورد البريطانى « اللنبى » التى قالها عندما دخل القدس فى الحرب العالمية الأولى فى حقد وتشف : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » بل كان الجنرال الفرنسى « غورو » أكثر تحدياً وحقداً وتشفياً ، حين قصد من فوره ، بعد انتصاره على جيش ميسلون خارج دمشق - إلى قبر صلاح الدين الأيوبى ، البطل المسلم قاهر الصليبيين ، وركله بقدمه وقال له : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » ..

ولا جدال فى أن ما قاله الجنرال الفرنسى واللورد البريطانى ، كان تعبيراً عن النزعة الصليبية الأوربية بصفة عامة . إن باترسون سميث ، فى مؤلفه : « حياة المسيح الشعبية » يقول :

« باءت الحروب الصليبية بالفشل .. لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك ، حينما بعثت إنجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، ففازت هذه المرة .. إن حملة « اللنبى » على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى - هى الحرب الصليبية الثامنة والأخيرة » .

بل إن وزير الخارجية البريطانية - يومئذ - لويد جورج هنا « اللنبى » فى البرلمان البريطانى ، لإحرازه النصر فى آخر حملة من الحروب الصليبية ، التى أسماها لويد جورج الحملة الصليبية الثامنة .. !

وأقول : إن الحروب الصليبية لم تنته بعد ، صحيح أنه حدث تغيير فى الشكل لكن المضمون بقى كما هو ، وما تزال المعركة تدور رحاها بين الهلال والصليب ، وقد ننخدع فى أن الغرب علمانى ، وأن البواعث الدينية غير مطروحة ، وقد قيل : إن أهداف الحروب الصليبية من قبل ، وأهداف الاستعمار بعدها ، سياسية واقتصادية فى المقام الأول ، ويتجاهل القائلون بذلك أن البابا فى روما هو الذى دعا إلى الحروب الصليبية .

يقول مؤلف كتاب « حرب الأيام الستة » يعنى معركة الخامس من حزيران عام

١٩٦٧ م ، والمؤلف هو راندولف تشرشل « لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم اليهود والمسيحيين على السواء .. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .. وقد أصدر الكنيست قرارات تؤكد أن القدس وقد خرجت من أيدي المسلمين – لن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود » .

إن أمريكا لم تشترك في الحروب الصليبية القديمة ، لأنه لم يكن لها وجود على المسرح العالمي ، ولم تسهم في الاستعمار الحديث ، بل كانت بلادا مستعمرة ، أقول : ولكن أمريكا في العصر الحديث أصبحت طرفا أساسيا في المعركة الدائرة بين الهلال والصلب . إن كتاب « المؤامرة أو المعركة المصيرية » لمؤلفه الأستاذ سعد جمعة رئيس وزراء شرق الأردن الأسبق ، ينقل إلينا هذه العبارات التي تفوه بها مسئول أمريكي كبير هو .. أيوجين روستو ، رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ، ومساعد وزير الخارجية ، ومستشار الرئيس الأسبق جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م ، يقول : « يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ، ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة .. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي » . إلى أن يقول هذا المسئول الأمريكي الكبير :

« إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء متمم ومكمل للعالم الغربي : فلسفته وعقيدته ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين الإسلامي ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف المعادي للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تنكسر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها » ! .

ولعلنا لم ننس بعد النشيد الطلياني الذي كان يردده شباب إيطاليا وهو في طريقه إلى ليبيا عام ١٩١١ م ويكفي أن نختار بعض عباراته :

« يا أماه : أتمنى صلاتك .. ولا تبكي .. بل اضحكي وتأملی .. ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني ، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة . سأقاتل بكل قوتي نحو القرآن .. ليس بأهل للمجد من لم يمت إيطاليا ، يا أماه تحمسي ولا تموتي لأننا في طريق الحياة .. لا تموتي يا أماه لأننا في طريق الحياة .. وإن لم

أرجع فلا تبكى على ولدك .. وإن سألك أحد عن عدم حداثك على .. فأجيبه : إنه مات
فى محاربة الإسلام .. !»

ويحدثنا ليوبولد فايسر فى مؤلفه : « الإسلام على مفترق الطرق » عن شيخ الحروب
الصليبية ، وهو مفكر أوروبى من أصل نمسوى ، وقد أسلم وحسن إسلامه يقول : « .. وفيما
يتعلق بالإسلام ، لا نجد موقف الأوروبى موقف كره فى غير مبالاة - فحسب - كما هى
الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور ، يقوم فى الأكثر
على صور من التعصب الشديد .. وهذا الكره ليس عقليا - فحسب - ولكنه يصطبغ
بصبغة عاطفية قوية .. قد لا تتقبل أوربا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ولكنها تحتفظ
دائما بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير فيما يتعلق بهذين المذهبين إلا أنها حالما تتجه
إلى الإسلام يختل التوازن ، ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب » ولا أظننا فى حاجة إلى
مزيد .. !»

ثانيا : الاستعمار والأرض :

قلت : إن الاستعمار الأوروبى كاد يغطى أرض العروبة والإسلام ، وقد كانت كل من
انجلترا وفرنسا ، تغطيان أكبر مساحة من الأرض ، وتلتهما هولندا والبرتغال وإيطاليا
وبلجيكا ، وكان التنافس يجرى على أشده بين انجلترا وفرنسا ..

ففى إفريقيا كانت انجلترا تتمركز فى شرقى إفريقيا ، وفرنسا فى غربها ، وكان
معظم هذه الدول يقع على الساحل .

نحن نعرض للفترة الزمنية المتاخمة لحياة العاهل الراحل ، والمساحة الزمنية هى نصف
قرن من الزمان ، كانت فرنسا ما تزال فى شمال إفريقيا ، فقد احتلت الجزائر أولا عام
١٨٣٠ ، ثم تونس عام ١٨٨١ ، ثم مراکش عام ١٩١٢ م وكان الاستعمار البريطانى
يمارس نشاطه فى المنطقة العربية ، استولى على فلسطين ١٩١٨ ، وعدن ١٨٣٩ ، ومصر
١٨٨٢ ثم السودان ١٨٩٨ م .

وكانت منطقة الخليج العربى والعراق والأردن فى قبضة الإنجليز ، كما كانت سوريا
ولبنان فى قبضة الفرنسيين ، وإذا اتجهنا إلى الشرق الأقصى ، وجدنا الاستعمار الهولندى
جائما على صدر إندونيسيا ، والبريطانى على القارة الهندية . وخلاصة القول : أن
الاستعمار الأوروبى الصليبي قد غطى - إلا أقل القليل - أرض الإسلام والعروبة بخطة

مدروسة ، وأساليب احتيالية على جانب من الدهاء ، فلما رحل ، رحل شكلا لا موضوعا، بعد أن استنزف خيرات البلاد التي تركها وهي مهیضة الجناح ، منهوكة القوى.. !

ثالثا: الاستعمار والغزو الفكري :

وأعنى بالغزو الفكري : التبشير الصليبي والغزو الثقافي ، ولا أعنى أن هذا أو ذاك قد بدأ مع بداية الاستعمار ، فكلاهما سابق عليه ، وإنما أعنى أن كليهما نما وترعرع في ظل الاستعمار الصليبي ، ولك أن تتصور أن مؤتمرا عاما للتبشير برئاسة القس زويمر انعقد في القاهرة عاصمة مصر الإسلامية ، وبلد الأزهر في أوائل هذا القرن ، وإمعانا في التحدي ينعقد في بيت الزعيم الوطني أحمد عرابي ، الذي تصدى للإنجليز ، وكان مآله النفي في سيلان .

وكان من المفروض أن تخف وطأة التبشير بعد رحيل الاستعمار ، ولكن الذي قضى على هذا الغرض أن النفوذ الأجنبي قد حل محل الاستعمار ، بل لقد دخلت في حلية التبشير أمريكا التي لم تكن في عداد الدول الاستعمارية ، إن أمريكا – كما يقول أمين الريحاني – التي تعبد الحديد والذهب والبترو ، قد غطت نصف الأرض بمبشرين ، يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني ، وحسبنا أن نفوذ « مجلس الكنائس العالمي » في أمريكا ، أصبح منافسا لنفوذ المخابرات المركزية هنالك ، وأن احتضان أمريكا للصهيونية ، ليس من أجل عيون إسرائيل بل لتأكيد للإسلام والمسلمين ..

وفي ظل هذا النفوذ الأجنبي – السياسي والاقتصادي – وبخاصة النفوذ الأمريكي – نجد التبشير الصليبي أصبح دولة داخل الدولة في أكبر دولتين إسلاميتين هما : إندونيسيا وبنجلاديش ، وأصبح له قواعد حتى في الدول الإسلامية مائة في المائة ، ونحن ندهش مع مؤلف كتاب غارة تبشيرية جديدة على إندونيسيا « لأن بعض الأنظمة يستجيب للنفوذ الأجنبي ، فيمارس ضغوطه على الإسلام ، إن أحد كبار العلماء المسلمين أبرق – كما يقول المؤلف – إلى مؤتمر المنظمات الإسلامية في مكة عام ١٩٧٢ م ليقول : إن الإسلام في إندونيسيا بخير ، ولا يوجد أي خطر عليه ..

ويرد المؤلف : مع أن الإسلام مهدد في إندونيسيا بخطر التنصير المكثف ، وأن العالم العربي والإسلامي على علم بواقع الأمر ، من المقالات الضافية التي دبجتها يراعات

الكتاب المسيحيين في صحيفة «الواشنطن بوست» وغيرها ، وهم يسجلون انتصارات التبشير في إندونيسيا ، وكذلك من تقارير الهيئات الكنسية الإندونيسية المرفوعة إلى هيئاتها المركزية في أوروبا وأمريكا وأستراليا .. قبل أن يعرفوها من كتاب « غارة تبشيرية جديدة على إندونيسيا » وأقول : إننا نستطيع أن نطوف كثيرا حول العبارة القرآنية : ﴿ **وشاهد من أهلها** ﴾ وسنكتفى بما جاء في كتاب « وجهة العلم الإسلامى » وهو بأفلام لفيف من مفكرى الغرب وياشرف المستشرق الإنجليزى المعروف « جب » وقد ترجم الكتاب ونشر منذ أكثر من نصف قرن ، يقول الكاتب فى الفصل الثالث :

« ويجب أن نصرح فى صراحة وتأكيد أن الكتلة العربية لا تكن عداء لأوروبا أو الأوربيين ولا للمسيحية أو المسيحيين .. لكن هناك شيئين يسخطهما الجميع أشد السخط ، هما : الاستعمار الأوربي ، والسيادة الإمبراطورية الاستغلالية المفروضة على الشرق من جهة ، واعتداء المبشرين على الإسلام من جهة أخرى .. » . ويضيف الكاتب :

« والشرق - ولا سيما الشرق العربى - لا يطبق صبورا على هاتين الطعنتين فى صميم حياته ، ولكنه لا يعادى أحدا .. فالشرق والحالة هذه ، يقف موقف المدافع لا المعتدى ولنعرض فى إيجاز لقضية الغزو الفكرى الثقافى ، وأعنى به نشاط بعض المستشرقين ، والحق أن التبشير والاستشراق إنما يستهدفان غاية واحدة ، هى التشويش على الإسلام عقيدة وفكرا بقصد النيل منه ، والخلاف بينهما - فحسب - فى الأسلوب ، فالاستشراق يعتمد على الكلمة المكتوبة يوجهها إلى المثقفين المسلمين لزلزلة أفكارهم عن دينهم ، وإلى المثقفين من غير المسلمين لتشويه صورة الإسلام لديهم ، أما التبشير ، فيعتمد أكثر ما يعتمد على الكلمة المسموعة يوجهها إلى العامة من المسلمين ليوهمهم بأن المسيحية وحدها هى الدين الصحيح ، كما يعتمد كذلك على مؤسسات ظاهرها تقديم الخدمات من مستشفيات ومدارس ، لذلك نراه يركز على المناطق الإسلامية التى تزخر بالأمية والفقر والمستشرقون مسيحيين كانوا أم يهودا ، يفتقدون - إلا أقل القليل منهم - الأمانة العلمية والموضوعية فى البحث عن الحقيقة - وإن ادعوا وزعموا غير ذلك - لأنهم يستهدفون أساسا النيل من الإسلام ونبى الإسلام ، أو كما يرى ليوبولد فاس ، حيث يقول : « إن أبرز المستشرقين الأوربيين ، جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام ، ويظهر فى جميع بحوثهم - على الأكثر - كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى ، بل على أنه منهم يقف أمام قضائته .. »

ريضيف قائلا :

« إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامى من الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله ، لا يستطيع أكثر من أن يطلب له - مع شئ من الفتور - اعتبار الأسباب المخففة » وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين ، تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ، أى أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها .. » .

و خلاصة القول :

إن التبشير والغزو الفكرى - وهو واقع فى ديار العروبة والإسلام ، ولا جدال فيه - إنما يمارسان نشاطهما وفق مخططات رهيبة ، حسبنا أن نقرأ قليلا من كثير ، مثال : « التبشير والاستعمار للدكتورين الخالدى وفروخ - الغارة على العالم الإسلامى لشنائيه وترجمة محب الدين الخطيب واليافى - الفكر الإسلامى الجديد وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور البهى - مجلدين عن الفكر الإستشراقى صدرتا من مكتب التربية العربى بالرياض - ثم مقتريات اليونسكو على الإسلام لكاتب هذه السطور » والذى يهمنى أمران :

الأول : أن النشاط المعادى للإسلام فى تلك المرحلة أصبح جزءا من سياسة الدول ، وله ميزانياته الخاصة فى إسراف .

الثانى : أن التخطيط بهذا النشاط المعادى ، يستهدف أن يظل الإسلام دائما فى موقف الدفاع ، لا يتجاوزه إلى مسيرة الزحف ، وتحقق له ذلك بسبب ضعف المقاومة ، التى لا تنكأ على الإطلاق مع شراسة العدوان .

محور الخلافة الإسلامية :

إذا كان الاستعمار فى تلك المرحلة هو ركيزة الأحوال فى المحيط العربى والإسلامى ، فإن مسألة « الخلافة الإسلامية » تعتبر محورا رئيسيا فيها ، إذ كان هدم الخلافة هدفا أساسيا للاستعمار وحليفته « الصهيونية العالمية » معا . وليس معنى هذا أن غير الاستعمار وحليفته لم يكن له دور ، لأن للماسونية والشيوعية الناشئة دورا لا يمكن تجاهله . والكفر ملة واحدة بل ما هو أشد مضاضة على النفس ؛ هو أن بعض العرب والمسلمين أسهموا فى هدم

الخلافة إيجاباً أو سلباً ، وبحسن نية أو بسوء قصد ، ولذا كان السلطان عبد الحميد المفترى عليه يتمثل كثيراً فى منفاه بيت طرفة بن العبد :

وظلم ذوى القربى أثمد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

ولا جدال أن مسألة الخلافة الإسلامية - أو مؤسساتها بمعنى أدق - تعرضت كثيراً للنقد القائم على الهوى ، وبخاصة ما صدر عن أكثر كتاب الغرب الصليبي ، بل ومن كتاب - عرباً كانوا أم مسلمين بحكم شهاداتهم المواليد - كما تعرضت قليلاً للنقد المنصف ، ولا يتسع المجال هنا للبحث عن أسباب سقوطها ومنها - وليس أهمها - انحراف الإدارة ، ولكن هذا الانحراف بدأ بعد أن تسللت إلى الإدارة عناصر مشبوهة ، وتعتبر الإدارة مسئولة - وبلا تحفظ - عن هذا التسلل وعن انحراف بعض ولائها على الأمصار . ولكن لابد من الإشارة إلى بضعة أمور تضع بعض النقاط على الحروف :

أولاً : نحن نسلم - جدلاً - بأن انهيار الخلافة بدأ من داخلها ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن ذلك حدث نتيجة خطة رسمها المتآمرون ، وفى مقدمتهم الاستعمار الأوربي الصليبي لقد كانت الخلافة فى نظره - برغم ضعفها - رمزا ، يمكن أن تلتف حوله الشعوب المسلمة ، عندما يقدر لها أن تبعث من جديد .. رافعة شعار الوحدة الإسلامية ..

لقد أبدى مثل هذه المخاوف أمثال المؤرخ البريطانى ، أرنولد توينبى فى مؤلفه : «الإسلام والعرب والمستقبل» ، حيث يقول : «إن الوحدة الإسلامية نائمة .. لكن يجب أن نضع فى حسابنا أن النائم قد يستيقظ» .

وفى عام ١٩٠٧ م عقد فى لندن مؤتمر أوربي كبير ، ضم أكبر نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين ، برئاسة وزير خارجية بريطانيا ، واستمر انعقاده شهراً ، حيث اتفقوا على أن الاسلام والمسلمين أعظم خطر يهدد أوربا ، لذا قرروا وضع خطة تقضى ببذل جهودهم كلها ، لمنع أى اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد ، يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا .

وأقول مرة ثانية :

إننا حين نعرض لأمر الخلافة الإسلامية ، إنما نعرض لها باعتبار أنها كانت محورا رئيسيا فى الأحوال السياسية إبان الفترة التى نتحدث عنها ، ولا نتجاوز ذلك إلى العلل والأسباب التى أدت إلى إنهائها ، ولا إلى أسلوب الإدارة الذى أسهم فى تلك النهاية

الجزينة ، والذي يهمننا هو إبراز أمرين :

أولا : أن هناك مؤامرة على الخلافة الإسلامية ، استمر نسج خيوطها عشرات الأعوام، إلى أن واثت الفرصة للإجهاز عليها ، كان العقل المفكر والمدير أعداء الإسلام ، وأسهم فى عملية التنفيذ مسلمون وعرب ، ولسنا فى حاجة إلى سوق الأدلة ، حسبنا أن نذكر ما حدث فى مؤتمر الصلح فى لوزان إثر الحرب العالمية الأولى ، واحتلال الحلفاء تركيا ، فقد اشترطت إنجلترا لانسحابها - واستجاب أتاتورك - إلغاء الخلافة وطرده الخليفة من تركيا بعد مصادرة أمواله وأن تقطع تركيا صلتها بالإسلام ، وأن تستبدل دستورا مدنيا بدستورها المستمد من أحكام الإسلام ، وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

والمثير للدهشة : أن بعض النواب بالبرلمان الإنجليزى ، احتجوا على كرزون مدير الخارجية : إذ كيف تعترف إنجلترا باستقلال تركيا ، التى يمكن أن تجمع حولها الدول المسلمة مرة أخرى ، وتهجم على الغرب ؟ ولم يطمئن المعارضون إلا بعد أن أجابهم كرزون : لقد قضينا على تركيا ولن تقوم لها قائمة بعد اليوم ، لأننا قضينا على قوتها الممثلة فى الإسلام .

ثانيا : نحن نخلط فى أمر الخلافة كرمز أو معنى ذى مدلول ، وبين الخلافة كإدارة وسلطة ، فنحمل الرمز أو المعنى كل أوزار الإدارة والسلطة ، والذين أرادوا بالخلافة الإسلامية كيدا - من أعداء الإسلام أو أتباعه - قد تعمدوا هذا الخلط ، لكى يحققوا أهدافهم ، وبالرغم من انتهاء الخلافة عام ١٩٢٤ - أى بعد زهاء خمسة وستين عاما - إلا أن النيل من الخلافة : الرمز والمعنى ، لم يتوقف بعد ، وفى نفس الوقت ما تزال الدعوة إلى وحدة المسلمين قائمة ، ومثل هذا التناقض فى سياسة المسلمين المعاصرة ليس مثيرا لدهشة ، بل المثير لها ألا يكون مثل هذا التناقض .

ولا جدال فى أن الإدارة - فى سنوات الخلافة الأخيرة - كانت معوجة ، وكانت فى مسيس الحاجة إلى من يقوم اعوجاجها ، لا إلى من يقوض بناءها ، لكن الإخلاص لدين الله كان - يومها - عملة نادرة ، وراجت عملة الأهواء والمطامع والنزعات ، والعملة الأخيرة هى التى أخرجت الإسلام من الأندلس ، وهى التى أودت بالخلافة الإسلامية فى القرن العشرين لقد توقع المستشرق الهولندى فى خطاب له عام ١٩٢٢ م أن الأمة الإسلامية - التى تتسامى على القوميات - على وشك التمزق إلى قوميات ، وبخاصة أن

الخلافة الإسلامية - وهي رمز الوحدة الإسلامية - قد أصبحت أثرا بعد عين !.

محور الصهيونية العالمية :

فى الفترة التى نحن بصددھا ، كانت الصهيونية العالمية قاسما مشتركا أعظم فى الأحوال السياسية وبخاصة فى المنطقة العربية ، وكان انعقاد أول مؤتمر صهيونى عالمى فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م ، بمثابة دق الأجراس إيدانا لبداية العمل الإيجابى ، قال تيودور هرتزل فى مؤتمره الصحفى فى نهاية المؤتمر : « لن أكون واقعيا لو قلت لكم : خلال سنوات معدودة سوف تقوم دولتنا ، ولكنى أعدكم بأن خلال خمسين سنة سوف يشهد العالم قيام دولتنا ، لقد أثمر المؤتمر نتيجة ذات أهمية قصوى ، هى أننا فى هذا المؤتمر قررنا أن نجسد إرادتنا فى عزيمتنا .. »

وواضح أن هرتزل كان يعنى ما يقول ، فقد قامت دولة إسرائيل فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨ م ، ولا تسئل عن العالم الإسلامى خلال الخمسين عاما ، لأنه كان قد أبعد عن القضية ، باعتبار أن فلسطين دولة عربية ، ولا تسئل أيضا عن العالم العربى فقد كان يعيش فى متاهات الاستعمار من ناحية ، ومن ناحية أخرى فى مناورات الرعاعات العربية من أجل السلطة .

إن الصهاينة زهدوا فى الكلام وابتكار الشعارات ، واستثمروا وقتهم فى التفكير والتخطيط والعمل ، على عكس العرب تماما الذين أجادوا الكلام وابتكار الشعارات ، ووقفوا عند هذه الحدود فلم يتجاوزوها ، ولقد كان أخطر الأدوار التى قامت بها الصهيونية فى تلك المرحلة دورها فى هذه الخلافة ، بعد أن يمست تماما فى اجتذابها بشتى المغريات حتى ترخص لها بوطن قومى فى فلسطين ، وكان ذلك فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، لقد استقبل السلطان هرتزل باعتباره رئيسا للجمعية الصهيونية . كان هدف هرتزل إقناع السلطان بالموافقة على إقامة مجتمع يهودى فى فلسطين ، مقابل تقديم هدية مالية للسلطان ، وإقراض الخزانة مليونين من الليرات الذهبية ..

أما السلطان فقد كان يهدف من اللقاء مع الزعيم الصهيونى - كما جاء فى مذكرات السلطان عبد الحميد - إلى معرفة حقيقة الخطط اليهودية ، ومعرفة قوة اليهود العالمية ومدى قدرتها ثم إنقاذ الدولة العثمانية من مخاطر اليهود .

وفشلت المساومة الرخيصة ، كان السلطان عبد الحميد يرفض توطين مهاجرين يهود

فى فلسطين ، حتى يبقى العنصر العربى المسلم محافظا على تفوقه الطبيعى فيها ، وكان من رآيه : أنه إذا ما سمح لليهود بالتوطن فى فلسطين ، فإنهم يستطيعون فى وقت قليل جدا أن يجمعوا فى أيديهم وسائل القوة من المكان الذى يستقرون فيه ، وفى هذه الحالة : « نكون قد وقعنا قرارا بالمولت على إخواننا فى الدين » وبذا أصبح السلطان عبد الحميد فى نظر هرتزل سلطانا ماكرا جدا « خبيثا جدا » ولا يثق بأحد .. وقال : إنه يفقد الأمل فى تحقيق أمانى اليهود فى فلسطين ، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم ، وانتخاب ممثلين سياسيين لهم ، وإنى أفهم جيدا معنى تصوراتهم الطامعة هذه .. وإنهم لسذج إذا تصوروا أنى ساقبل محاولاتهم هذه .. إن هرتزل يريد أرضا لإخوانه فى دينه لكن الذكاء ليس كافيا لحل كل شىء .. لماذا نترك القدس .. إنها أرضنا فى كل وقت وفى كل زمان .. وستبقى كذلك .. فهى من مدننا المقدسة ، وتقع فى أرض إسلامية .. لا بد أن تظل القدس لنا » .

وأقول : لهذا بدأت الحركة الصهيونية العالمية توحدها جهودها لخلق السلطان ، فالجمعية الإسرائيلية فى مصر كانت تطبع المنشورات المعادية للسلطان ، وترسلها إلى الآستانة بوسائلها الخاصة .

إن الصهيونية العالمية لم تهدأ لحظة واحدة فى تلك المرحلة التى نحن بصدددها ، فى الوقت الذى كان العالم العربى يغط فى سبات عميق ، وإذا قدر له أن يستيقظ فترة من الزمن وجيزة ، فلنما ليتنازع ويختلف ، وينقسم على نفسه ، ولا جدال فى أن مثل هذا السلوك أعان الصهيونية كثيرا فى تحقيق أهدافها ، وأن تفرض نفوذها على السياسة الدولية ، فانتزعت من بريطانيا وعد بلفور ، وكان الانتداب البريطانى حلقة رئيسية من حلقات انتصارات الصهيونية ، لأنه هو الذى سلم مقاليد السيطرة على فلسطين لليهود ..

فى كتاب « التبشير والاستعمار » للدكتورين ، الخالدى وفروخ :

« إن وعد بلفور لم يكن العامل الأساسى فى إنشاء دولة إسرائيل ، إن السياسات التى استتريت وراء هذا الوعد هى التى أرادت خلق إسرائيل ، سواء أتقدم هذا الوعد أو تأخر فى التاريخ ، وسواء أكان أم لم يكن . قالت بربرة توخمان : « إن الانتداب – لا وعد بلفور – هو الذى أفسح فى القانون العام مجالا لإعادة إسرائيل فى فلسطين .. إن وعد بلفور كان إعلانا لسياسة فقط ، ولكن الانتداب – أى إدخال وعد بلفور فى صك الانتداب – كان التعهد الدولى الذى وقعته دول الحلفاء التى كانت تعمل باسم « عصبة الأمم » ثم أكدته فرفته بذلك – بعد أن وضعت فى صلب صك الانتداب إلى مستوى

المعاهدات » ولم يكن نشاط الصهيونية العالمية قاصرا على المجال السياسى ، بل كانت متغلغلة فى الاتجاهات العقائدية والفكرية : الماركسية والماسونية ، وغيرهما ، بل إن النحلة البهائية ، كانت - وما تزال - تتحرك وفق مخطط صهيونى مدروس ..

الملك عبد العزيز .. والأحداث

بالنسبة للملك عبد العزيز يمكن تقسيم المرحلة إلى مرحلتين :

الأولى : مرحلة ما قبل عام ١٩٢٥ م حيث ضم إلى ملكه الحجاز .

الثانية : مرحلة ما بعد عام ١٩٢٥ م حيث يعيش الأحداث السياسية فى العالمين : العربى والإسلامى .

وفى المرحلة الأولى كان شغله الشاغل تأسيس ملكه على أساس من العقيدة السلفية . ونحن - بالنسبة للمرحلة الأولى - نؤثر الإيجاز ، برغم زحمة الأحداث السياسية فى تلك المرحلة ، لقد كان عليه أن يحارب فى جبهتين : جبهة العقيدة لإقرار العقيدة السلفية ، وجبهة السياسة لمواجهة أعداء الدولة الجديدة ، ولا يمكن الفصل الجذرى بين الجبهتين ، فالعقيدة الجديدة كانت عاملا رئيسيا لمحاربة الدولة الجديدة .. ويتجاهل بعض المؤرخين مسألة ذات أهمية خاصة ، هى أن حركة العقيدة كانت أسبق من قيام الدولة ، وأن قيام الدولة كان ضرورة اقتضتها حماية العقيدة ..

كانت بريطانيا تلعب أخطر الأدوار فى المنطقة ، وكانت الخيانات العربية على أشدها بمساندة بريطانيا أيضا ، كان أسلوب بريطانيا مع ابن سعود هو التهديد بقطع المعونة المادية ، ولكن هذا التهديد قوبل منه بعزة لإيمانه بالله ، وفى مناقشة حادة مع المسئولين البريطانيين بالقاهرة ، صرخ فى وجوههم : « ليس النصر من عندكم .. ولكنه من عند الله يؤتية من يشاء .. لقد مر زمن طويل وأنا أفى لمعاهدتكم .. ولم أفعل ذلك خشية أو رهبة ، بل محافظة على كلمتى .. وإنى لأحمد الله أن توقفتكم عن المساعدة ، لأن ذلك يطلق يدى فأتصرف كما أشاء وأنقذ سمعتى وشرفى ! »

إن أمر الخيانات فى هذه المرحلة كان أشنع مما يتصوره عقل ، والشعوب لا تعرف الخيانة وإنما قادتها ، حسينا ما ذكره أمير البيان « شكيب أرسلان » فى كتابه : « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟ » :

« قام أهل الريف المغربي في وجه الدولة الإسبانية مدة بضع سنين إلى أن تغلبوا عليها، وطردها جيوشها بعد أن أبادوا منهم في موقعة واحدة ستة وعشرين ألف جندي، وغنموا مائة وسبعين مدفعا .. لقد قام أهل الريف بعمل بطولي أدهش أهل الأرض بالطول والعرض .. ثم تألب الفرنسيين مع الإسبان وحشدوا لحرب الريفين ثلاثمائة ألف مقاتل، وحاصروا الريف من البر والبحر، وكانت طائراتهم القاذفة بالديناميت تحصى بالمئات لا بالعشرات .. ثم جاء سرب طائرات أمريكية نجدة لفرنسا وأسبانيا النصرانيتين على المسلمين لأنهم مسلمون .. هذا كله .. والمسلمون ينظرون إلى حرب الريف مكتوفي الأيدي .. وياليتهم وقفوا عند هذا الحد من خذلان الريفين .. بل قامت منهم فئات يقاتلون الريفين بأندد مما يقاتلون به الأجانب .. وتألبت على محمد بن عبد الكريم قبائل وافرة العدد، شديدة البأس .. مالأوا الفرنسيين والإسبان على أبناء ملتهم ووطنهم، تزلقا إلى الفرنسيين والإسبان، وابتغاء الحظوة لديهم .. وقد جرى مثل ذلك عندنا في سورية يوم الثورة على فرنسا، وجرى مثل ذلك في بلاد إسلامية كثيرة » .

ويعقب السيد رشيد رضا بقوله :

« والآن عساكر شرقي الأردن - وهم من العرب - يقاتلون بكل شدة مجاهدي فلسطين، الذين هم إخوانهم في المذهب وهم يعلمون أن هؤلاء المجاهدين، إنما ينددون عن حياة العروبة والإسلام .. وبينما دماء المجاهدين تسيل لحفظ فلسطين للعرب، نجد دماء عربية تسيل لأجل إخراج فلسطين من أيدي العرب .. فهل بلغ العدو من عدوه أكثر مما يبلغ العرب من أنفسهم ؟ لا والله !!

لقد ازدحمت المرحلة - وبخاصة في الثلث الأول من هذا القرن - بمخططات الاستعمار الأوربي ومؤامراته، كما ازدحمت بخيانات القيادات العربية ذاتها، وكان أهم ما يشغل بال الملك ابن سعود وحدة المسلمين .. ولقد حاول جاهدا برغم علمه بأن السبيل إلى تحقيق ذلك ليست مفروشة بالورود، في عام ١٩٢٦ م دعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي في مكة .. إن مكة - كما قال - هي للمسلمين كافة » لكن ممثلي الدول الإسلامية تجاهلوا الهدف الرئيسي من المؤتمر، ونشب بينهم خلاف حول حق الصدارة والأفضلية، وحول من يتولى إدارة الأماكن المقدسة، لكن الملك حسم الأمر بكلمات قوية : « لقد فتحت الديار المقدسة بإرادة الله .. وبفضل قوة ساعدي وولاء شعبي، فأصبح من حقي وحدي أن أتولى إدارتها كدولة مسلمة حرة .. ليس لأنني أنوى فرض

سيطرة شخصيتي على الحجاز .. فذلك بعيد عن تفكيرى ، فالحجاز أمانة الله فى عنقي ، سأحافظ عليه بكلتا يدي .

ويعقب الكاتب الفرنسى بنوا ميشان فى مؤلفه عن ابن سعود بقوله :

« إن هذه الكلمات تعبر عن إيمان وثقة بالنفس لا جدال فيهما .. إن من الصعب أن نتفهم نفسية ابن سعود إذا تجاهلنا طبيعة عقيدته الدينية .. لقد نشأ فى مدرسة والده الإمام على التقيد الصارم بتعاليم القرآن .. إن الإسلام فى نظره يمثل لباب الذهنية العربية ، وهو النظام الذى لولاه لغرق البدو فى الفساد والفوضى ، لقد قال يوما للسير لرسى كوكس :

« إننى مسلم أولاً ، وعربى ثانياً ، غير أنى دوماً خادماً لله » . ولما كان ابن سعود يجسد فى ذاته شعباً ، رفض دائماً أن يفصل بين الزمنية والروحية ، فقد كان نشاطه السياسى والدينى يتمازجان إلى حد يتعذر عليه - هو نفسه - أن يميز بينهما .. وعلام يميز بينهما ؟ وكل منهما يدعم الآخر ، فامتداد سلطانه ونشر الدعوة كانا فى الواقع واحداً ، وكان لمطامحه السياسية وغيرته الدينية اتجاه واحد .. وهنا تكمن قوته الكبرى .

كان النصف الأول من هذا القرن مليئاً بأضخم الأحداث ، وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط ، انحل عقد الخلافة الإسلامية ، وتحللت إلى قوميات وشعوبية ، وحدث ارتداد عن أصالة الإسلام الذى يدعو إلى وحدة المسلمين مجردة من النزعات الجنسية والعنصرية : الطورانية ، والبابلية ، والفرعونية وغيرها .. ونحن لا نبرئ ساحة الاستعمار بكل مخططاته من هذه الأحداث ، وفى نفس الوقت نحمل القيادات العربية بل والإسلامية كل المسئوليات ، بسبب مطامعها ومصالحها .

وكان الحل الأمثل للخروج من المأزق ، هو العودة إلى روح الإسلام وأصالته ، ولقد حاول ابن سعود أن يجعل من موسم الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً ، يمهّد لإيجاد وحدة إسلامية - ولو - فى المشاعر والأحاسيس ، لقد قدم مثالا حياً يتمثل فى الدولة التى وحدت بين ربوع الجزيرة العربية ، أو كما يقول موريس جارنو فى مؤلفه « تحقيق حول ابن سعود » : « إذا كان ابن سعود قد نجح فى لم شعث الجزيرة العربية تحت لوائه .. وإذا كان قد جعل من بلد مضطرب أهل بالعصابات - البلد الأكثر أمناً فى العالم ، فمرد ذلك - ليس للقوة والسيوف - فحسب - بل لأنه سكب فى أعماق الأمة الناشئة أقوى عوامل التراضى والتماسك - أى التقيد الشديد بأحكام القرآن » إلا أن ابن سعود خاب أمله فى بقية دول العالم العربى بالذات ، وقد عبر عن ذلك بكلماته المشهورة : « ما أخشى على المسلمين .

ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين» وفي أحد المحافل طالبه البعض بمحاربة الإنجليز والفرنسيين المعتدين على المسلمين، فقال: «الإنجليز والفرنسيين معذورون إذا عادونا، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها أن المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم، وأنا والله لا أخشى الأجانب وإنما المسلمين.. فلو حاربت الإنجليز.. لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين».

حصاد الماضي:

ولا جدال في أن حاضرتنا نحن - العرب والمسلمين - يمانى الكثير من حصاد الماضي المرير.. يعانى أوضاعا قلقة بلغت حد التفاقم في القلق، وإذا كان الاستعمار فيما مضى هو الذى بذر البذور، فنحن الذين أرويناها، وقمنا برعايتها حتى آتت أكلها علقما نتجرعه.. والسبب لا يحتاج إلى بيان، ويكاد يتركز في المطامع والأهواء وشهوات السلطة، وقد أدت هذه إلى التجرد من النوايا الطيبة، كمحاولة لرأب الصدع في بناء الأمة العربية فضلا عن بناء الأمة الإسلامية..

ومنذ أكثر من أربعين عاما أنشئت الجامعة العربية أملا متواضعا، يجمع شتات العرب لمواجهة - رواسب الاستعمار بعد رحيله - من ناحية - ومن ناحية أخرى - لمواجهة الغص: التي غرسها الاستعمار في حلق العروبة والإسلام - أعنى إسرائيل.. ولكن الأيام أثبتت أن مائدة الجامعة العربية لم تعد للوفاق، وإنما للخلاف، وتنمية النزعات الإقليمية..

بالنسبة لمواجهة رواسب الاستعمار، فلم تحدث مواجهة قط، بل ما حدث هو أن تحولت الدول إلى دول تدين بالتبعية، وتفتقد الإرادة المستقلة، وأصبح بعضها وقد يم وجهه شطر الغرب، وأصبح البعض الآخر وقد يم وجهه شطر الشرق.

وبالنسبة لمواجهة ذلك السرطان - أعنى إسرائيل - فالنتيجة بضعة أصفار من جهة الشمال، فقد ازدادت إسرائيل شراسة وشراسة وتحديا، وتوسعا، واستخفافا بالوجود العربى الإسلامى، وما تزال تحتل الجولان، وتهيمن على الجنوب اللبناني، وقد قطعت شجرات الأُميال لتضرب المفاعل الذرى في العراق، ومئات الأُميال لتضرب الفلسطينيين في تونس، ونحن ما نزال عند حدود الكلام والكلام وحده.

أجل كان حصاد السنين مريرا:

إن طابع العصر الذى تعيشه أمتنا هو التمزق والتفكك، والشقاق والخلاف والنزاع،

تركنا العدو ينهش أعراضنا ويمتص دماءنا ويستخف بنا ، ويخرج لسانه بعد أن أصبحنا أعداء أنفسنا ..

إن الأسلحة التي ندفع ثمنها الباهظ من أقواتنا ، ليست للدفاع عن حمى العروبة والإسلام ، وإنما ليقتل بها العربي أخاه العربي ، والمسلم أخاه المسلم ، والدماء الغزيرة التي سالت كانت كفيلاً بأن تغرق إسرائيل برمتها ، وهذه الأسلحة التي استهلكت كانت جديرة بأن تزيل من الوجود إسرائيل ، وهذه المليارات التي أنفقت على حروب جاهلية كانت كفيلاً بأن تحررنا من قروض الذلة ومعونات المهانة وإنقاذ مئات الألوف من ضحايا المجاعات في آسيا وإفريقيا من المسلمين .

ليست قضية فلسطين وحدها هي التي أثبتت فشلنا وعجزنا ، وجعلتنا نلقى بكل أعبائها وهمومها على الغرب والشرق وكأن الأمر لم يعد يعنيننا في قليل أو كثير ، بل أيضا هناك الحرب الأهلية الطائفية في لبنان ، إن عشرة أعوام حسوم ، لم تكن كافية لكي تنتقل من مقاعد المتفرجين ، تلك التي استرخينا فوقها كاسترخاء تنابلة السلطان ..

إن أخطر ما أصبنا به شيوع روح الانهزامية فينا ، وفقداننا الثقة في أنفسنا ، وأهم من هذه وتلك هو أننا طرحنا الإسلام جانبا في كل شؤوننا ، وإن طريق الخلاص واضح ، ولكن المشكلة : متى وكيف نسلكه ؟؟

وكلمات أخيرة :

إن هذا اللقاء - وإن كان خاصا بالحديث عن سيرة بطل عربي مسلم ، وتاريخ دولة فتية عربية مسلمة - إلا أن هذه السيرة وذلك التاريخ ، هما منطلق إلى الحديث عن أحوال العالم العربي والإسلامي المعاصر ، وهي في الواقع حصاد للماضي من خلال النصف الأول من هذا القرن الميلادي ..

لقد تركت الحديث عن ابن سعود لغيري .. وما أظنه في حاجة إلى حديث عنه ، كان رحمه الله نموذجا فريدا من البطولة التي ترسم خطى الإسلام في أصالته ، وليست البطولة وفقا على الأعمال المجيدة - وحسب - بل كذلك على قوة الشخصية الذاتية المنبثقة من إيمانه العميق بالله عز وجل ، هذه القوة التي تفرض على الجميع احترامه ، إثر انتقاله إلى رحمة الله عام ١٩٥٣ م قالت جريدة الديلي اكسبريس : « لقد مات ابن سعود .. لقد كان أشد صلابة وأكثر مرونة ، وأسعد حظا من جميع زعماء العرب في هذا

العصر . . لقد أسس ملكه على مضض من السياسة البريطانية واستثمر حقوقه البترولية بالتعاون مع الأمريكيين ، وكلاهما كان يحترم خصائصه الفذة .» وكتبت مجلة « بارى ماتش » تقول : « لقد خلف ابن سعود - الذى لقبه الإنكليز بنابليون الجزيرة العربية - مملكة شاسعة تعد مساحتها نصف مساحة أوروبا .. وكان فى الوقت نفسه الزعيم المرموق فى العالم العربى .. نصف قرن من الجولات الخيالية .. ملحمة مدوية لم تخطر أعاجيبها أبدا فى بال كتاب قصص الفروسية .. لقد استطاع ابن سعود فى خضم القرن العشرين أن يفجر من غمار الرمال أمة جديدة » .

هل وجود الزمان يمثل ابن سعود أم سنظل نردد قول شاعر النيل فى رثاء الإمام محمد عبده - رحمهما الله :

رفعنا إلى الأيام بعدك راحنا فردت إلى أعطافنا صفرات

المراجع

- ١- الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية : لمصطفى صبرى .
- ٢- الإسلام على مفترق الطرق : ليوبولد فايس .
- ٣- الإسلام والغرب والعرب : لتوينى .
- ٤- التبشير والاستعمار : للدكتورين عمر فروخ ، والخالدى .
- ٥- تحقيق حول ابن سعود : لموريس جازنو .
- ٦- حرب الأيام الستة : لرائد ولف تشرشل .
- ٧- حياة المسيح الشعبية : لباترسون سميث .
- ٨- عبد العزيز آل سعود : لينوا ميشان .
- ٩- غارة تبشيرية على إندونيسيا : لأبى هلال الإندونيسى .
- ١٠- الغارة على العالم الإسلامى : لثاتيليه .
- ١١- قادة الغرب يقولون : لجلال العالم .
- ١٢- لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم : لشكيب أرسلان .
- ١٣- المؤامرة الكبرى ومعركة المصير : لسعد جمعة .
- ١٤- محنة الأقليات المسلمة : لمحمد عبد الله السمان .
- ١٥- مذكرات السلطان عبد الحميد .
- ١٦- مفتريات اليونسكو على الإسلام : لمحمد عبد الله السمان .
- ١٧- وجهة الإسلام : لبعض المستشرقين .

المبحث الثاني

السياسة الخارجية في عهد الملك عبد العزيز

بين

مبدأي الاستقلال الوطني ووحدة الأمة الإسلامية

(نموذج العلاقات السعودية المصرية)

للمفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور / محمد فتحي عثمان

الملك عبد العزيز بين مبدأي « الاستقلال الوطني » و « وحدة الأمة الإسلامية » :

كان الملك عبد العزيز ملتزماً بالإسلام عقيدة وشريعة دونما تجزئة طوال حكمه (١٣١٩ - ١٣٧٣ هـ / ١٩٠٢ - ١٩٥٣ م) . ولكنه - فيما يبدو - كان مقتنعاً كل الاقتناع بأن « وحدة الأمة » الإسلامية وتضامنها غاية يمكن أن تتعدد لبلوغها المسالك ، ومبدأ يصح أن يتحقق في أشكال وصور متعددة حسبما يوافق صالح المسلمين في الظروف القائمة ، وواقع العصر في زمن معين ، ومن هذه المسالك والأشكال ما يمكن أن يتلاءم مع الحفاظ على « الاستقلال الوطني » المعروف للدولة الحديثة ولا يتعارض معه . والملك عبد العزيز في وجهته هذه قد أكد نضجاً سياسياً رائداً في الحكم الإسلامي المعاصر منذ استوت « المملكة العربية السعودية » على ساقها بعد توحيد أراضيها وأخذت اسمها هذا سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م ، وصار لها دورها وصوتها المسموع في البلاد العربية والإسلامية . ويمكن استجلاء ملامح تلك الوجهة للسياسة السعودية الخارجية في مواقف من مسيرة العلاقات السعودية المصرية في ذلك العهد .

قضية الخلافة بين الملك عبد العزيز والملك فؤاد :

(السلطان ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م والملك ١٣٤٠ - ١٣٥٤ هـ / ١٩٢٢ - ١٩٣٦ م) .

كان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م) متمسكاً بلقب « الخليفة » حريصاً على تأكيد الوحدة الإسلامية Pan - Islamism تحت لواء الدولة العثمانية ، لكن خلعه لأول مرة سنة ١٩٠٨ م ونهايتها في العام التالي لم يبق من هذه الخلافة العثمانية المقول بها إلا شبحها هزيعاً وظلاً باهتاً إذ قبض القائمون بالانقلاب العسكري على السلطة الفعلية ، ولم يكن لمحمد رشاد الذي خلف عبد الحميد إلا السلطان الاسمي ، ولما خرجت الدولة العثمانية مهزومة من الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م . ونهض كمال أتاتورك يقاوم الحلفاء المنتصرين حين عمدوا إلى فرض شروط جائرة مهينة على العثمانيين المنهزمين ، وحين تحقق له الانتصار بادر إلى إعلان الجمهورية وعزل السلطان العثماني القائم محمد وحيد الدين (١٣٣٣ - ١٣٤١ هـ / ١٩١٨ - ١٩٢٢ م) واختير عبد المجيد بن عبد العزيز الذي كان ولياً للعهد ليشغل مقام الخلافة ثم مالبت أن تقرر خلع الخليفة وإلغاء الخلافة في رجب ١٣٤٣ هـ / مارس ١٩٢٤ م .

ومهما يمكن أن يقال في فعالية الخلافة كنظام منذ تفشى التجزؤ والانفصال زمن الدولة العباسية ، ومهما قيل في مدى كفاءة الدولة العثمانية كسلطة وإدارة – لاسيما في عهدها الأخير – وسياساتها وأدائها ورجالاتها فقد ارتبطت الخلافة بمشاعر المسلمين طوال القرون ، وأحدث إلغاؤها ردود فعل قوية بين المسلمين في عدد من البلاد ، حتى إن غاندى استثمر في تغذية الحركة الوطنية الهندية ضد بريطانيا مشاعر السخط الإسلامى على إلغاء الخلافة بين مسلمى الهند باعتبار الخلفاء المنتصرين مسئولين عن توالى الأحداث نتيجة ما عمدوا إليه من إذلال العثمانيين وأخذت تطوف بالأذهان فكرة شغل المنصب الشاغر الذى لم يألف المسلمون طوال القرون خلوه ولو لم يكن لشاغله إلا اللقب فحسب ، وسافر الشريف حسين الذى كان يحكم الحجاز قبل ضمه للدولة السعودية إلى عمان عاصمة شرقى الأردن سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م .. فجاءه رجل من مشايخ يافا من أرض فلسطين يحمل مضبطة – محضرا – بمبايعته بالخلافة وأقيمت الحفلات وبايعه من كان في عمان من زواره فيها ، وعاد إلى مكة وقد أضاف إلى ألقابه لقب « الخليفة » (١) .

وهكذا برزت فكرة ترشيح ملك مصر أحمد فؤاد للخلافة ، ونشطت الجهود لمؤتمر إسلامى يدعى إليه ممثلو شعوب الأمة الإسلامية كافة بمدينة القاهرة فى شعبان سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م تحت رئاسة شيخ الأزهر للبحث فيما تيسر إليه الخلافة ، وفى هذه الظروف أصدر الشيخ على عبد الرازق من قضاة مصر الشرعيين كتابه « الإسلام وأصول الحكم » وقد استبعد فيه أى صلة للخلافة بالإسلام – أى صلة الحكم بالإسلام ، وكان الشيخ وأسرتة مثل سائر عمد حزب « الأحرار الدستوريين » من أثرياء مصر النافرين من تعزيز سلطة الملك باسم الخلافة ، الحريصين على أن يكون حكم مصر ملكيا دستوريا يلتزم الملك فى سلطته بأحكام الدستور فيملك ولا يحكم . ومن ثم تجاهل الشيخ الأزهرى والقاضى الشرعى ما ورد فى القرآن والسنة عن أولى الأمر والأئمة والولاة والرعية وأحكام الأسرة والمعاملات والعقوبات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والعلاقات الدولية وأحكام الذمة والأمان والمعاهدات ، تجاهل هذا كله وذهب إلى ماذهب إليه فى كتابه المذكور ، ويذكر أن صحفيا من مجلة « المصور » المصرية تحدث مع المؤلف قبل وفاته سنة ١٩٦٦ م بزم قصير ، فبدأ الرجل متحفظا فى الحديث عن كتابه وما كان قد اشتهل عليه من آراء ، وحين استأذنه الصحفى فى إعادة نشر ذلك الكتاب لم يبد المؤلف موافقة .

(١) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز : ٣٨٢ ، ط : بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

أما الملك عبد العزيز ، فقد بادر في وسط ذلك الضباب والته إلى رفض الخلافة لنفسه ولغيره (١) ، وبدأت سياسته الخارجية مرتكزة على الحفاظ على استقلال كل دولة إسلامية بحدودها ، وإن كانت الدولة السعودية لا تفتأ تؤكد التزامها بأحكام الإسلام جملة وتفصيلا ، ذلك أن نظام الخلافة تراث تنظيمي تاريخي لجمع كلمة المسلمين وكفالة مصالحهم وإدارة شئونهم ، ولقد حقق منافع كبرى في مدى معين من الزمن ليس بالقصير ، وله منزلة ومكانته في قلوب المسلمين ، لكنه لا يمكن أن يكون الصورة الوحيدة أو الشكل الفريد لتحقيق وحدة المسلمين وتضامنهم .

ولقد خلص ابن خلدون في « مقدمته » إلى أن نظام الخلافة إنما ثبت « بالإجماع » لا بالنص من الكتاب أو السنة ، وذهب البعض إلى أن الإجماع الذي وقع ، هو بحكم العقل لضرورة الاجتماع للبشر مما يؤدي للتنافس وضرورة الحاكم الوازع - وإن لم يكن هذا مما يؤيده ابن خلدون (٢) . على أن الإجماع وإن ارتكز إلى مقاصد الشريعة ومبادئها العامة في الكتاب والسنة ، لكنه مسلك للاجتهاد الجماعي عند من لا يقول بحصر الإجماع في نطاق بيان النص وجعله مستندا إلى النص وبالتالي إدخاله في نطاق المنصوص عليه مثل الإمام ابن حزم الظاهري .

وقد أبدى الملك عبد العزيز - في منحا إزاء قضية الخلافة - فقها إسلاميا سديدا من جهة ، كما كشف عن وعي سياسي بواقع العصر وبصر نافذ إلى القوى التي ترسم مثل هذه الخطط والمشروعات وتحرك دعائها أو توازرها . يقول الدكتور محمد حسين هيكل أحد أقطاب « حزب الأحرار الدستوريين » في مصر ووزرائه عن أمر الخلافة في تلك الفترة : « ... وقيل يومئذ إن إنجلترا ترحب بأن تكون الخلافة في مصر ، كما قيل إن في بعض البلاد الإسلامية اتجاها إلى أن صاحب عرش مصر أولى الملوك المسلمين بها . على أنه قيل في نفس الوقت إن أهل الحجاز وإن السعوديين وعلى رأسهم الملك عبد العزيز الذي دخل الحجاز لا يؤيدون هذا الاتجاه ولا يقرونه .. ثم تزايدت (الأقاويل) في أول الصيف من عام ١٩٢٥ م (٣) . وقد كان الملك عبد العزيز يتخوف من تلك القوى الدولية الأجنبية التي لا تفتأ تحرك مشروعات التجمع المصطنع من رواء الأستار ، وقد ذكر أحمد شفيق باشا في « حوليات مصر السياسية » أن سعد زغلول أجاب الأمير طوسون حين سأله

(١) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، الزركلي : المصدر السابق : ١٤/٣ ، نقلا عن الأمير عبد الله الفيصل .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة : ١٩١ - ١٩٢ ، دار القلم : بيروت ط ١ سنة ١٩٧٨ م .

(٣) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية .

عن مؤتمر الخلافة المزمع عقده بأنه سيعرض الأمر على الملك ، وذكر صاحب الحوليات أنه لم يقبل ، وحين دعا الملك عبد العزيز الحكومات والشعوب الإسلامية إلى مؤتمر يعقد في مكة في ٢٠ من ذى القعدة سنة ١٣٤٤ هـ / ١ / ٣ من يونية سنة ١٩٢٦ م لم يستجب ملك مصر للدعوة ، ويبدو أن مشكلة الخلافة وموقف الملك عبد العزيز منها لم تكن قد انقضت عقابيلها بعد .

آراء معاصرة حول « الخلافة » :

وقد عرض محمد رشيد رضا صاحب المنار (المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) رأى المفكر الإسلامى جمال الدين الأفغانى (المتوفى سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م) فى «الوحدة الإسلامية» سجلته صحيفة «العروة الوثقى» التى كان يشارك فى تحريرها العالم المصرى الشيخ محمد عبده (المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) وغير ذلك من كتاباته وأقواله فقال : وكان الغرض من الجامعة الإسلامية إرشاد المسلمين بالقرآن ونشأة الإسلام الأولى إلى وحدته ... وتوجيه جميع شعوبهم إلى استقلال بلادهم واتحادها وتعاونها على إحياء مجده بترك عصبية المذاهب والجنسيات المفرقة لكلمة أهله ، وما اشتهر عن السيد جمال الدين من كونه يريد بالجامعة الإسلامية أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة فلم أراه فى شىء من «العروة الوثقى» ، ولا فى غيرها مما كان يرويه عنه الأستاذ الإمام - أى الشيخ محمد عبده - وهو أعلم الناس بمقاصده وأعماله ، بل قال فى المقالة التى وضعنا لها عنوان الوحدة الإسلامية التى نشرت فى العدد التاسع من العروة الوثقى: «ولا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر من الجميع شخصا واحدا فإن هذا ربما كان عسيرا ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك يسعى بجهده لحفظ الأمر ما استطاع فإن حياته وبقائه ببقائه لأن - هذا بعد كونه أساسا لدينهم - تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات ... » والظاهر أنه كان يكتفى بالوحدة الدينية وتجديد الإصلاح الإسلامى المدنى والحربى فى كل شعب له دولة أو تصير له دولة ، وعقد المحالفات بين هذه الدول^(١)

و حين تجدد حلم الخلافة فى مصر فى باكورة عهد فاروق (١٣٥٥ - ١٣٧٣ هـ) (١٩٣٦ - ١٩٥٢ م) كان رائد الحركة الإسلامية فى الجزائر المعاصرة الشيخ عبد الحميد ابن باديس واضح الرؤية نير البصيرة متبينا لحكم الشريعة وحقيقة الواقع ، وقد كتب مقالا سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م . جعل له عنوانا ذا مغزى «الخلافة أم جماعة المسلمين؟» كان

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام / ط ١ : مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

مما جاء فيه (١) : ولقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الإسلام وزمنا بعده - على فرقة واضطراب - ثم قضت الضرورة بتعددته في الشرق والغرب ، ثم انسلخ عن معناه الأصلي وبقي رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الإسلام في شيء فيوم ألغى الأتراك الخلافة - ولسنا نبرر كل أعمالهم - لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي ، وإنما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى ، وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من شبح الإسلام . عملت الدول الغربية المستعمرة فتنة المسلمين باسم « خليفة » فأرادت أن تستغل ذلك مرات عديدة أصيبت فيها بالفشل . ليس عجيبا من تلك الدول أن تحاول ما حاولت وغاياتها معروفة ومقاصدها بينة وإنما العجب أن يندفع في تيارها المسلمون وعلى رأسهم أمراء وعلماء .

ولقد رأى من بعد المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي أنه يمكن أن يتحقق وحدة المسلمين وتضامنهم في صورة معاصرة ربما أقرب إلى أن تكون كومنولث إسلامي . وحين احتضنت المملكة العربية السعودية فكرة إقامة منظمة المؤتمر الإسلامي في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز (١٣٨٤ - ١٣٩٥ هـ / ١٩٦٤ - ١٩٨٥ م) منذ عقد مؤتمر القمة الإسلامية الأول في الرباط في جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩ هـ / سبتمبر ١٩٦٩ م حتى خرجت المنظمة إلى الوجود بأمنيتها وميثاقها ، وهيئاتها والمنظمات التابعة لها ، والنابعة منها خلال العام التالي وما يليه ، قدمت صورة معاصرة لتحقيق التضامن الإسلامي تحت لواء « منظمة » لا شخص ، وفي نطاق « مؤتمر » يضم أعضاء متساوين متكافئين دون انتقاص من سيادة أحد من الدول الأعضاء . Inter governmentel not super governmental .

لكي تبقى للمنظمة أهميتها وفعاليتها بقدر ما تهيم من تعاون إيجابي بناء يتيح المناخ لنمو المشاعر والأفكار الإسلامية بين الشعوب والحكومات بصورة طبيعية دون أية ضغوط نتيجة استمرار الرأب والتشاور والتعاون وتوثيق عرى الأخوة ، وتحقيق المسالك العملية والصور المتنوعة المتعددة لتحقيق التضامن . والحق أن الإسلام كل لا يقبل التجزئة ، لكن الأولويات وتقديم الأهم على المهم ، وكلما تواصل المسلمون شعوبا وحكومات وارتفعت الحواجز بينهم بمضى الزمن واستمرار الصلات قرونا متطاولة ، وليس من الممكن أو الحكمة تصور انهيار الحواجز الوهمية المتراكمة بإجراء شكلي يسير سريع .

(١) مجلة الشهاب التي كان يصدرها ابن باديس في قسنطينة بالجزائر ، ج ١ م ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ هـ / مايو ١٩٣٨ م .

وعلى هذا النهج واصلت السياسة الخارجية مسيرتها عند إقامة « مجلس التعاون لدول الخليج ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

وهي نفسها السياسة التي اختطها الملك عبد العزيز ووضع أسسها لمملكته ، سياسة تقوم على التعاون المتكافئ ، بين دول ذات سيادة وقد بينا رفض الملك عبد العزيز في حزم ما بدا من بعض المتطرفين من أنصاره من نزعات لبسط نطاق الدعوة والدولة بالقوة إلى العراق والأردن المتاحمتين للمملكة . وقد انتهى أمر هؤلاء المتطرفين إلى التمرد والمشاقة ، فكانت المواجهة المسلحة التي أدت إلى نهاية أولئك المتطرفين .

توثيق العلاقات مع الدول الإسلامية وعقد المعاهدات معها :

ولم يدخر الملك عبد العزيز وسعا في توثيق الأخوة والصداقة والتعاون مع الدول الإسلامية القائمة بحدودها وسيادتها . فقد اجتمع مع فيصل بن الحسين ملك العراق وأعقب ذلك عقد معاهدة صداقة وحسن جوار بين السعودية والعراق وقعت في مكة سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م ، ألق بها « بروتوكول للتحكيم » وأعقبها معاهدة لتسليم المجرمين . ثم عقدت بعد ذلك معاهدة أخوة عربية وتحالف بين الدولتين في بغداد في المحرم سنة ١٣٥٥ هـ / أبريل ١٩٣٦ م ، وتلا ذلك عقد معاهدة تحالف بين المملكة العربية السعودية والعراق واليمن في جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦ هـ أغسطس سنة ١٩٣٧ م . كما توالى اتفاقات لإدارة المنطقة المحايدة ، ولحل قضايا عشائر الحدود ، ثم لمكافحة التهريب في المنطقة المحايدة سنة ١٣٥٩ هـ / ١٩٣٩ - ١٩٤٠ م . وهكذا استقر الأمر وتوثقت الأوامر بين الشقيقتين المتجاورتين ، وقد أدلى الملك عبد العزيز بحديث لصحيفة « الأهرام » المصرية نشرته في ١٠ من المحرم سنة ١٣٥٥ هـ / ٣ من أبريل سنة ١٩٣٦ م أكد فيه أن معاهدة التحالف بين المملكة العربية السعودية والعراق واليمن إلى جانب معاهدة الطائف (التي سبق عقدها مع اليمن في ٦ من صفر سنة ١٣٥٣ هـ / ٢١ من مايو سنة ١٩٣٤ م) وأنهت النزاع المسلح بين الدولتين على الحدود (يمثلان أساسا قويا يركز عليه العرب في تكاتفهم وتعاضدهم واتحاد كلمتهم وأشار إلى أمله أن تنضم الحكومات العربية الأخرى المستقلة والتي تسير في سبيل الاستقلال إلى هذا التحالف ، وذكر الصحفي الذي أجرى معه الحديث أنه يقصد حكومات مصر وشرق الأردن وفلسطين وسوريا (١) .

ويلاحظ أن هذا التحالف الذي أقامته هذه المعاهدة هو تحالف بين دول مستقلة

(١) الزركلي : المصدر السابق : ٢ / ٦٥٦ ، ٦٥٩ .

متكافئة بحدودها وسلطاتها للتعاون على تحقيق مصالحها المشتركة ، دون استثناء أحد على أحد أو انتقاص من سيادة أية دولة من دول ذلك التحالف الثلاثي .

وأما بالنسبة لمصر فقد عقدت مع المملكة العربية السعودية معاهدة صداقة سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وكان ذلك بعد وفاة الملك فؤاد ، وافتتحت المفوضية السعودية بالقاهرة بعد أن كانت وكالة غير معترف بها رسمياً ، ولما طلبت مصر في عهد الوزارة التالية لتلك التي وقعت المعاهدة تذييلها بملحق عن المندوبين الذين يصحبون « الكسوة » التي سيكتفى بها عن الحمل وحسن معاملتهم أثناء ضيافة المملكة لهم قال الملك في غضبه عتاب « متى كان يشترط أن نحسن معاملة أضيافنا ؟ هذا شرط لا نقبله ولا نسجله ! » وانتهى الأمر إلى تعزيز علاقات الود والصداقة بين البلدين الشقيقين وألحت حكومة مصر على بقاء الأمير فيصل في القاهرة بعد انتهاء العلاج الطبي الذي قدم لأجله للتشاور والتعاون في الجهود لإزاء القضية الفلسطينية ، وأجاب الملك عبد العزيز بالموافقة وأبرق إلى سفارته في القاهرة في ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٩ م / ٢٤ من صفر ١٣٥٨ هـ نظراً لما أبداه محمد محمود (رئيس وزراء مصر وقتذاك) من الحاجة الماسة لبقائه - أي فيصل - في برقية لمعالجة القضية الفلسطينية وقد أجابناه بالموافقة ، فإننا بلغناه أن يبقى لتتضافر جهود الأمير فيصل مع جهود إخواننا المصريين وفقهم الله جميعاً (١) .

وكلما مضت الأيام زادت العلاقات توثقاً بين الدولتين وانتفت الريب . والشكوك عما يكون « فاروق » قد ورثه عن أبيه « فؤاد » من مشاعر غير ودية تجاه الدولة السعودية ، ولقد طاف بذهن الملك فاروق حلم « الخلافة » فترة قصيرة من الزمن ، وكان في صدر عهده يحاول أن يدعم شعبيته كملك مسلم متدين - ولا سيما حين كثرت الإنجليز عن أنيابهم في وجهه ، وأطلق لحيته ، ثم عاد عن ذلك الحلم سريعاً ، وقد قيل في إطلاق لحيته ما قيل . وعلى كل حال فإن الملك فاروق أو مستشاريه سرعان ما غلب عليهم التفكير الواقعي وزال هذا الحلم تماماً عن الأذهان وزار فاروق المملكة ولقى الملك عبد العزيز في مدينة كاملة من الخيام أقبمت في سهل منبسطة بين شرم ينبع وجبل رضوى في ١٠ من صفر سنة ١٣٦٤ هـ / ٢٥ من يناير سنة ١٩٤٥ م وكان بين من صحبه في الزيارة عبد الرحمن عزام واستغرقت الزيارة أكثر من أسبوع . كما زار الملك عبد العزيز مصر زيارة خاطفة غير مقصودة لذاتها عند اجتماعه بالرئيس الأمريكي روزفلت ثم رئيس

(١) الزركلي : المصدر السابق ، ٤ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٣ .

وزراء بريطانيا تشرشل سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م وأعقب ذلك زيارة رسمية في صفر سنة ١٣٦٥ هـ / يناير سنة ١٩٤٦ م استغرقت اثني عشر يوماً (١) . وبلغ من توثق العلاقات السعودية المصرية أن الملك عبد العزيز حين التجأ إليه الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني بعد فشل حركته الانقلابية ، بعث في ٢ من أكتوبر سنة ١٩٤٥ / ٢٦ من شوال سنة ١٣٦٤ هـ إلى الملك فاروق يخبره بالأمر ويوسطه في التحدث مع الأمير عبد الإله . وتعلمون جلالتيكم أننا لم نكن مؤيدين له .. ولكن بما أن الرجل حل وسط المحارم والعائلات التي هي محارمكم وعائلاتكم ، فما وسع أخاكم إلا أن يسعى فيما يؤمنه كما تقضى به الشرائع الدينية والشيم العربية . وفي الحال أبرقنا لسمو الأمير عبد الإله (الوصي على عرش العراق وقتذاك) رجونا العفو عنه . فأرجو من جلالة الأخ العزيز أن يساعد أخاه في هذه المهمة ، فيفضل بالكتابة لسمو الأمير عبد الإله للعفو عنه .. ونشرت جريدة « المصري » نقلا عن مصدر سعودي مسئول في القاهرة - هو خير الدين الزركلي - أن الملك عبد العزيز لم يفكر في أي وقت أن يأتي أمرا يخالف العهود والمواثيق التي ارتبطت بها حكومته مع حكومة العراق الشقيق ، وحينما اتصل جلالتهم بأولياء الأمور في الأقطار الشقيقة لطلب العفو عن رشيد عالي لم يخالجه شك في أن المعاهدة السعودية العراقية لا تفرض عليه تسليمه إلى العراق ، وإنما أراد عمله أن يرجع الفضل في العفو عن رشيد عالي إلى العراق نفسه ، كيلا يساء التعبير أو يمس شعور العراق ، وأشرك الملك في ذلك جميع ملوك العرب وأمراءهم ولكن المساعي من هذه الناحية لم يقدر لها النجاح مع مزيد الأسف . هذا من الوجهة العاطفية أما الوجهة الحقوقية فقد جاء دورها بعد ذلك ، بأن قدمت حكومة العراق إلى الحكومة العربية السعودية طلبها الرسمي وسأقت ما تستند إليه ، وأمر الملك عبد العزيز بالإجابة عما ورد منها حسبما تقتضيه نصوص المعاهدة بين الدولتين الشقيقتين .. وفي اعتقادي أن هذه الصفحة انطوت على أحسن حال ، ولا يمكن أن تترك أي أثر في العلاقات الأخوية السائدة بين البلدين العربيين ، خصوصا في هذه الحقبة التي يحتاج فيها العرب للدفاع عن حقوقهم وصور كياناتهم (٢) ولم يأل الملك عبد العزيز جهدا في تعزيز جهود مصر التي أعقبت الحرب العالمية الأخيرة لاستكمال استقلالها وتحقيق الجلاء الناجز للجيش البريطاني عن أراضيها وقد أرسل الملك عبد العزيز ولي عهده فيصل إلى بريطانيا لتبصيرها بمغبة سياستها مع مصر على علاقاتها مع العرب جميعا ، وقد

(١) الزركلي : المصدر السابق : ٧٩٨/٢ ، ٧٩٩ .

(٢) الزركلي المصدر السابق : ٦٦٨/٢ ، ٦٦٩ ، ١١٥١/٣ ، ١١٥٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٣٨ .

أصدر الملك عبد العزيز تعليماته إلى مندوبي حكومته في اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية في برقية بالشفرة في ٣١ من أغسطس سنة ١٩٥١ م / ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٣٧٠ هـ ... بخصوص قناة السويس والمشكل الذي بين البريطانيين والحكومة المصرية نحن مع مصر ونؤيدها في حقوقها . ونحن تعقدت الأمور بين الحكومتين المصرية والبريطانية بصدد مطالب مصر لاستكمال استقلالها ، عرض الملك عبد العزيز مقترحاته لحل الأزمة وكلها تناصر الحق المصري وكان ذلك في يناير سنة ١٩٥٢ / ربيع الثاني سنة ١٣٧١ هـ ، وقد نشرتها جريدة « المصر » ، بعد ستة أشهر من عرضها في عددها الصادر في ٢٣/٦/١٩٥٢ م وهي كما يلي :

أولاً : تعتبر المعاهدة المعقودة بين مصر وبريطانيا سنة ١٩٣٦ م ملغاة .

ثانياً : تجلو القوات البريطانية عن قناة السويس إلى أماكن خارج القطر المصري في مدة لا تزيد عن سنة .

ثالثاً : يحل الجيش المصري محل القوات البريطانية في قناة السويس .

رابعاً : يسلم الجيش المصري بالمعدات الحربية ويساعد في التدريب عليها حتى يصبح قادراً على الدفاع بنفسه .

خامساً : تعقد معاهدة صداقة جديدة بين مصر وبريطانيا لتنسيق العلاقات الودية بين الفريقين .

سادساً : ينظم أمر الدفاع باتفاق يبنى على التعاون الصادق بين الفرقاء يوضح فيه شكل التعاون في حالتي السلم والحرب .

سابعاً : وأما السودان فيترك الخيار لأهله ، يستفتون فيه استفتاء حراً خالصاً من كل ثنائية (١) .

وامتدت جهود الملك عبد العزيز إلى توثيق العلاقات وعقد المعاهدات مع سائر الدول الإسلامية ، ولم يحصرها في نطاق الدول العربية وحدها . فعقدت المملكة معاهدة للصدقة مع تركيا سنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م ومع إيران في نفس العام ، ومع أفغانستان سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ودعا الملك عبد العزيز على إثر دخوله الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م كل المسلمين حكومات وشعوبا إلى التشاور والتعاون لتحقيق الاستقرار والتقدم

(١) المصدر السابق : ١٢١٣/٣ ، ١٢٢٠ .

لبلاد الحجاز ورعاية الحرمين الشريفين وتيسير الحج لعامة المسلمين من مختلف أنحاء العالم
إذ جاء في البلاغ العام المعلن بهذه المناسبة .

وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه مع أهل الحجاز
لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها وكان الملك بعد أن استقر في مكة سنة ١٣٤٣ هـ/
١٩٢٤ م وأقام يحاصر جدة وفيها الشريف علي بن الحسن الذي تنازل له أبوه الشريف
حسين بن علي عن العرش ومعه أنصاره ، قد بعث في ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ هـ / أكتوبر
١٩٢٥ م إلى ملوك المسلمين وجمعياتهم ومنظماتهم يدعوهم إلى إرسال مندوبين عنهم
للنظر في مستقبل الحجاز . وانقضى حصار جدة ومغادرة الشريف علي بن الحسين لها في
جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ / ديسمبر ١٩٢٥ م دون أن يتلقى عبد العزيز جواباً إلا من
«جمعية الخلافة بالهند» وأبدى أهل الحجاز رأيهم بأنهم أحق بتقرير أمرهم فبايعوا الملك
عبد العزيز وقبل بيعتهم في جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / يناير ١٩٢٦ م . ثم تجددت
فكرة عقد مؤتمر للنظر في إصلاح الحجاز ، فكتب الملك عبد العزيز إلى الحكومات
والهيئات الشعبية بالبلاد الإسلامية يدعوها إلى مؤتمر يعقد في مكة في ٢٠ من ذي القعدة
سنة ١٣٤٤ هـ / ٣ من يونية سنة ١٩٢٦ م . ولبى الدعوة البعض ورفضها ملك مصر كما
سبقت الإشارة إلى ذلك (١) .

الملك عبد العزيز ومشروعات الإدماج السياسي :

وهكذا مضت سياسة الملك عبد العزيز في تحقيق التضامن بين المسلمين عن طريق
عقد معاهدات الصداقة والتعاون - بل والتحالف أحياناً - على أن يكون ذلك كما تكرر
القول بين دول مستقلة ذات سيادة وإخوة أنداد متكافئين دون استئثار من جانب أحد أو
افتئات على حق أحد ، في حين كان الملك لا يرتضى مشروعات الإدماج توقياً للمطامع
والمناورات في داخل البلاد العربية وخارجها .

كتب الملك عبد العزيز إلى وزيره المفوض في بغداد ٤ من صفر ١٣٥٨ هـ / ٢٧
من مارس سنة ١٩٢٩ م لإبلاغ رئيس الحكومة العراقية ووزير خارجيتها أن حكومة
المملكة لم تتلق رداً على سؤالها عن رأى حكومة العراق في قضية فلسطين بعد فشل
مؤتمرها في قضية سوريا بعد الموقف الفرنسي الأخير ، ثم مضت الرسالة تقول : إنه وإن
كانت معاهدة الحلف تقضى علينا نحن والعراق ألا يتخذ أحدهما سياسة في أى بلد من

(١) المصدر السابق ٣/٦٦٩ ، ٦٧١ .

البلدان العربية بغير التشاور مع حليفه ، وإنه كان العراق كثيرا ما ينحرف عن هذه الجادة بغير سابق حديث أو تفاهم فإننا نتغاضى عن كثير فى كثير من المواقف ، محبة فى جمع التمثل ورغبة فى التبعاد عن كل ما قد يفسر فى الخارج بوجود اختلاف بيننا وبين العراق ، الموقف الحاضر ليس موقف أطماع للعراق فى ضم سوريا وفلسطين لها ، كما أنه ليس هذا الوقت الذى يجوز أن نفكر فى مثل هذه الأطماع لأنفسنا ونحن كما تعلمون نحب أن نتباعد على الدوام عن مثل هذه الأطماع .. ونحن إذا لم نلتفت للأمر من الآن ونتفق اتفاقا جيدا لاتخاذ خطة مشتركة نحن والعراق وسوريا وفلسطين فإن الأمر محقق بالجميع .. وأخذ الملك يجمل ما ارتآه من محاولة التوصل إلى حلول سياسية للنزاع مع بريطانيا وفرنسا بما يحفظ حقوق سوريا وفلسطين ، ويذكر جهود دولته فى هذا الصدد ، وقد نشرت صحيفة « الأهرام » فى ١٧ من يونية سنة ١٩٣٩ م / ٢٨ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٨ هـ نقلا عن مراسلها فى دمشق أن شائعات دارت عن رسالة من الملك عبد العزيز إلى حكومة العراق ، وأن نوري السعيد رئيس العراق إذ ذاك قد أطلع عليها بعض مندوبى البلاد العربية فى حفل تأبين الملك غازى ، وهى تحوى تهديدا وإنذارا لحكومة العراق عن جهوده فى هذه السبيل وأذاعت حكومة العراق بلاغا رسميا قرر أن ما نشر لا ينطبق على الحقيقة ، وبصرف النظر عن الجهة التى يحتمل أنها أوعزت بنشر الخبر المشار إليه على صبرته ، فإن الحكومة السعودية بادرت إلى نشر مذكرتها التى كانت قد أرسلت فعلا إلى حكومة العراق وأرسل ما يشبهها إلى زعماء سوريا وفلسطين فى ٢٤ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٨ هـ / ٥ نوفمبر ١٩٣٩ م . وليس فيها من قريب أو بعيد رائحة تهديد أو إنذار لمنع حكومة العراق من مساعدة فلسطين وسوريا ، وذكر بيان السفارة السعودية فى القاهرة الذى رافق إعلان المذكرة أنها قائمة على الدعوة إلى توحيد المساعي بالاتفاق والتفاهم . ومن الطبيعى أن حكومة العراق لم تعلم الحكومة العربية السعودية أنها قدمت أية مساعدة مشروعة أو مساعدات غير مشروعة لفلسطين أو سوريا فى محتتها الحاضرة كما أن الحكومة العربية السعودية لم يتصل بعلمها شئ من ذلك ، ولهذا فلا معنى لاحتمال الإشارة بالتهديد أو الإنذار ، وقد عبرت المذكرة عن الأسف للتطورات الأخيرة فى سوريا التى لم تعلم حقيقة أسبابها وعرضت الجهود السعودية التى بذلت للتأثير فى الحكومة الفرنسية لتسير فى خطة مسالمة مع سوريا وأن تكون مع سوريا على اتفاق بعد هذا الخصام الذى يسىء لسمعة فرنسا ويساعد أعداءها ولا يفيد شئنا . وأبرزت المذكرة وجهة النظر السعودية بشأن الموقف العربى فى ذلك الجو الدولى المتوتر المتفجر المشحون بمخاطر

الحرب العالمية الأخيرة وعلى إثر إذاعة البيان والمذكرة سالفى الذكر ، وصل إلى الرياض من بغداد وفد برئاسة وزير الخارجية ، للمباحثة في تسوية بعض المسائل المعلقة في علاقات الدولتين من قضايا الحدود وغيرها مع إبداء الرغبة في عقد اتفاق عسكرى بين البلدين لم يخرج إلى حيز التنفيذ (١) .

وفي يولية سنة ١٩٤٣ م / رجب سنة ١٣٦٣ هـ طلب نوري السعيد من السفارة السعودية في بغداد إبلاغ الملك عبد العزيز بأنه أثناء مروره بسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، اتصل برجال هذه الأقطار ووجد أن الرغبة العامة تتجه إلى تكوين دولة سورية موحدة من هذه الأقطار كلها . وبعد أن عدد العقبات في طريق هذا المشروع قال : والذين قابلتهم كتبوا إلى النحاس باشا (رئيس وزراء مصر وقتذاك وكان قد شرع استطلاعاته في الأجواء العربية لقيام شكل من التجمع العربى) آراءهم الخصوصية ، وأرسلوا كتاباتهم إليه معى ، أما رأى الشخصى فيجب أن تقسم مساعدتنا إلى قسمين : قسم سياسى والثانى : اقتصادى ثقافى .. الخ . أما السياسى فيجب أن نبدأ به ونحصره فى تأييد وحدة سوريا وجعل هذا المبدأ مقبولا لدى الدول ولا سيما بريطانيا ، لأن الوحدة العربية لا يمكن تحقيقها ما لم تتحقق الوحدة السورية ، ونترك لأبناء الأقطار السورية نفسها البحث فى نظام الوحدة وتشكيلاتها وكونها جمهورية أو ملكية ، ثم نعقب ذلك بمباحث أوسع تتناول علاقات الأقطار العربية السياسية ومستقبلها وسيرها بشكل موحد ، هذا رأى وإذا كان لديكم رأى آخر أرجو أن تطلعونى عليه . وإن كان هذا رأى مقبولا أرجو إعلامى بموافقته ، وعندما تأتاكم الدعوة من النحاس بصورة خصوصية ، أرجو أن يكون ممثلكم مزودا بالتعليمات المتفقة مع هذا رأى .

وهكذا انتهز نوري السعيد فرصة المشاورات الجارية بشأن إقامة تجمع عربى بصورة من الصور للهدف بمشروع « سوريا الكبرى » على المائدة ، والزج برئيس وزراء مصر فى هذا الخضم ، وقد بادر الملك عبد العزيز إلى الرد على مقترحات نوري السعيد عن طريق سفارته فى بغداد ، وبعد أن أشار إلى الجهود السعودية لصيانة استقلال سوريا وحقوقها ومن أجل القضية الفلسطينية انتقل إلى بيان رأيه الصريح فى مقترحات الزعيم العراقى . إن أهل سوريا قد اختاروا الحكم الجمهورى لبلادهم ونحن نرى أن هذا الأمر لهم وهم أحق ببلادهم من أى شخص آخر ، وإننا نؤيد الجمهورية فى سوريا ويجب أن نعضد أهلها

(١) المصدر السابق ١/٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٦٦١ ، ٦٦٣ .

عليها ما داموا اختاروها لأنفسهم ، وفتح باب من جديد لموضوع اختيار أهل سوريا بين الجمهورية والملكية لم نعلم الغرض منه ما دام أهل سوريا جعلوا الحكم الجمهوري أساسا في دستورهم .. يجب علينا أن ننتهز الفرص المناسبة التي لا تعرقل أعمالهم (الحلفاء) في الظروف الحاضرة لبيان الطرق التي تفيد العرب ..

أما سياستنا التي نستهدفها في البلاد العربية فهي أن تكون مستقلة ، ومحافظة كل من البلدان العربية على مكانها ومنزلتها لا يعتدى بعضها على بعض ، حفظا للتوازن ، ومنعا للشحناء والبغضاء بينها ، فإنه كان المقصد من كلام فخامته ويحثه أن الأمر على ظاهره هو لمصلحة سوريا وفلسطين فقد بينا فيما تقدم رأينا بتلك البلاد ، وإن كانت هناك غايات أخرى مستقرة لم يصرح بها فخامته فمن الصعب علينا وليس من عادتنا أن ندخل في شيء لا نعرف المدخل إليه والمخرج منه ، لأن ذلك ليس من مصلحتنا ولا من مصلحة العراق نفسه ولا من مصلحة أحد من العرب ^(١) وهكذا أبرزت هذه الرسالة سياسة الملك عبد العزيز لإزاء مشروعات « الإدماج » التي تطبخها وتريد أن تطعمها للشعوب أهواء معينة تأتي من داخل البلاد العربية أو من خارجها .

مشروع الجامعة العربية :

ومتابعة لهذا النهج الحصيف ، ونظرا لاقتران المشاورات الجارية في شأن « التجمع العربي » بمحاولات نوري السعيد في دفع مشروع « سوريا الكبرى » قد كان من الطبيعي أن يستقبل الملك عبد العزيز حديث هذا التجمع حين تلقاه أول الأمر بالشكوك ، وكان قد خبر السياسة البريطانية منذ قيام حكمه وعرف عقابيلها فيما كان تحت سيطرتها من أراضي الخليج ، وفيما فعلته مع العرب - ولاسيما في أواخر الحرب العالمية الأولى وأعقابها ، وإن كان أمر الدولتين قد انتهى إلى عقد معاهدة جدة سنة ١٩٢٦ م / ١٣٤٥ هـ ، اختار الملك عبد العزيز الوقوف إلى جانب الحلفاء مع الابتعاد عن التورط فيما يقذف بالعرب إلى أتون الحرب ذاتها ولا مصلحة لهم في ذلك ويذكر أن وزير الخارجية البريطانية هو الذي أطلق الدعوة إلى تجمع عربي مرتين : الأولى : سنة ١٩٤١ والحرب في عنفوانها فلم يأبه للدعوة أحد ، الثانية : في مجلس العموم البريطاني في ٢٦ من فبراير سنة ١٩٤٣ م / ١٩ صفر سنة ١٣٦٢ هـ بعد أن بدا رجحان كفة الحلفاء ، وقتها بادر الساسة العرب إلى تناول الفكرة ، واستهل ذلك في العراق والشام وشرق الأردن ، وكتبت الصحافة المصرية حتى فرضت عليها الرقابة السكوت فجأة ، ثم خرجت حكومة مصر عن صمتها بعد أكثر من شهر من

(١) الزركلي : المصدر السابق : ٩٣١/٣ ، ٩٤٠ .

دعوة إيدن الأخيرة ، فتلى بيان لرئيس الحكومة فى مجلس الشيوخ فى أبريل سنة ١٩٤٣م/ ٢٤ من ربيع الأول سنة ١٣٦٢ هـ يشير إلى ما انتهى إليه بعد تفكير طويل من البدء باستطلاع رأى الحكومات العربية كل على حدة ، وبذل الجهود للتوفيق والتقريب بين الآراء ، ثم الدعوة إلى اجتماع ودى فى مصر لهذا الغرض حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية ، وأشار البيان إلى اجتماع مع جميل المدفعى وتحسين العسكرى ودعوة وجهت إلى نوزى السعيد ، ودعوات أخرى تبعتها للحكومات العربية الأخرى لاستقصاء ما عندهم فى هذا الصدد ، واجتمع نوزى السعيد مع النحاس ، وهكذا بدا فى الأفق اسم نوزى السعيد الذى لا يخفى مشروعه لإدماج الأقطار السورية الذى عرف بمشروع سوريا الكبرى ، وفى هذا الجو الملغم بالشكوك تلقى الملك عبد العزيز دعوة رئيس الحكومة المصرية للمباحثة فى أمر التجمع العربى فرد الملك بأنه لا يرغب فى الدخول فى مباحثات لم يكن له اطلاع على الباعث عليها ، وأمام إلحاح مصر وحرص الملك على ألا يقال إن بين البلدين خلافا ، وجه سكرتيره الشيخ يوسف ياسين فقابل رئيس الحكومة المصرية مبينا أن الملك « لا يميل إلى العمل فى جو تشتم منه رائحة الدسائس ، وأوضح رأى الملك فيما سئل عنه من أمور ، وفى مقابلة تالية أكد الشيخ يوسف والشيخ حافظ وهبة للنحاس أن الملك عبد العزيز لا يرى القيام بأى عمل ما دامت الظروف الحاضرة قائمة » وأبدى الملك نفس رأى حين تلقى كتاب الدعوة الرسمى من القائم بأعمال المفوضية المصرية فى المملكة واستمر رئيس حكومة مصر يؤكد فى لقاءات تالية لممثلى المملكة أن اللجنة التى وجهت الدعوة لاجتماعها تحضيرية وأنه من الممكن ألا نبرم شيئا جوهريا ، ثم نعلق الموضوع على اجتماع المؤتمر (بعد ذلك) ، ونؤجل المؤتمر إلى الفرصة المواتية التى توافقون بها على العمل معنا فيها » وقد أكد الملك عبد العزيز خلال الاتصالات الجارية سنة ١٩٤٤م / ١٣٦٣ هـ تأييده للحكم الجمهورى القائم فى سوريا ولبنان وكل اتفاق بينهما لما فيه صالحهما فذلك من شأنهما ، ونحن نسر بكل ما يجمع بينهما . أما اتفاق فلسطين مع سوريا فى حكمها الجمهورى فذلك متروك لأهل فلسطين ، وهو يرى أن من الخير لسوريا وفلسطين بل من الخير للعرب أجمع أن يؤجل هذا الأمر إلى أن يدفع الخطر اليهودى وينتهى الأمر بشكل يحفظ حقوق فلسطين العربية كاملة ، وبعد ذلك يمكن للبلدين أن يعمل ما يريانه للاتفاق بينهما ضمن الحكم الجمهورى بشرط ملاحظة المصالح : « لا ضرر ولا ضرار » أما بالنسبة لفكرة تجمع البلاد العربية بوجه عام ، فقد حرص الملك عبد العزيز على بيان أنه لا يمانع فى التعاون بين البلاد العربية فى المسائل الاقتصادية أو الثقافية أو أى

تعاون ممكن عندما يكون ذلك في الإمكان ويكون الوقت ملائماً له . أما اجتماع « لجنة للبحث » في هذه المسائل فعندما يحين وقت اجتماعها تكون المراجعة بيننا للاتفاق على وقت اجتماعها ومكانه .

ولكن رئيس الحكومة المصرية سارع الخطى ، ومضى في تحديد موعد لاجتماع اللجنة التحضيرية ، ووجه كتاباً إلى الملك يلح عليه في الرجاء بالموافقة على الاشتراك في الاجتماع ، وبدأ وقتذاك من رئيس حكومتى سوريا ولبنان ميل لتلبية الدعوة . ثم أبرق النحاس إلى الملك عبد العزيز أن رؤساء الوفود المجتمعين في الموعد المحدد اتفقوا على رجائه الموافقة على المشاركة ، وإزاء الإلحاح وخشية إظهار الخلاف الذى يستغله المستغلون ، وافق الملك على حضور مندوبه الاجتماع . وكان يفترض أن محادثات اللجنة ستبقى سرية إلى أن ينعقد المؤتمر الذى يعقبها ويقر نتائجها ، ولكن أعلن في الجلسة الأخيرة في ٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ م / ٢٠ من شوال سنة ١٣٦٣ هـ بروتوكول وبيان ، فامتنع مندوبو السعودية واليمن عن التوقيع وذكر مندوبه لوزير الخارجية المصرية أنه إذا كان الباعث لبعض الحكومات العربية أو أفراد منها على السير في هذا المشروع للدعاية واستمالة الرأي العام فسياسة الملك هي العمل بدون كلام ولا دعاية كما أن بيننا وبين جميع الحكومات العربية معاهدات لا زال العمل جارياً بها – فهذه في نظرنا أقوى من قرارات اللجنة التى ليس فى أكثرها شأن عملى ، وقد وافق جلالته على العملى منها وهو الاشتراك فى لجنة للدعاية يكون لها مكتب فى لندن ومكتب فى واشنطن أما الأمور التى لا يمكن تنفيذها فىرى جلالته من إضاعة الوقت الاشتغال بها .

ثم كانت زيارة ملك مصر للملك عبد العزيز واجتماعهما فى رضى ابتداء من ١٠ من صفر سنة ١٣٦٤ هـ / ٢٥ يناير سنة ١٩٤٥ م ويبدو أن العاهل السعودى قد استوثق من موقف مصر بالنسبة للمشروع المطروح لوحدة الأقطار السورية ، وأن الجامعة العربية التى أعلن قيامها لن تتخذ أداة لمثل هذه المشروعات والمناورات . كما استوثق أن الصيغة المقترحة للجامعة هي اجتماع أُنُداد متكافئين يتعاونون بينهم فى مصالحهم المشتركة بملء حريتهم وعلى قدم المساواة دون استثناء من أحد أو مساس بسيادة عضو من الدول الأعضاء ، ولعله تأكد من أنه ليس فى نية أحد إلزام عضو بما لا يوافق عليه وأن محل التزام الجميع هو ما يصدر بإجماع الدول الأعضاء . وعلى ذلك حمل المندوب السعودى الشيخ يوسف ياسين موافقة الحكومة السعودية على بروتوكول الإسكندرية مع رسالة خاصة من

الملك إلى رئيس الحكومة المصرية باعتباره رئيس اللجنة التحضيرية في ١٩ من المحرم ١٣٦٤ هـ / ٥ يناير ١٩٤٥ م أوضح فيها رأى الحكومة السعودية في أن يقوم اجتماع كلمة العرب على أسس قوية ، منها : أن يعقد حلف بين الدول العربية « يرمى إلى تكافلها وتعاونها بسلامة كل منها وسلامة مجموعها ويضمن حسن الجوار بينهم » ، وأن تكون الحرب محرمة بين الدول العربية وإنما يحل كل خلاف بالوساطة أو التحكيم ، وإذا امتنع طرف عن قبول التحكيم أو الإذعان لقراره نصحته الدول الأخرى فإن بغى واعتدى فلها بعد التشاور أن تقرر ما تراه لرد الاعتداء . ولم يفت الملك أن يؤكد ضمن الأسس القوية التي ينبغي أن تقوم عليها الجامعة أن يكون مفهوما من البداية أن نظام سوريا ولبنان كجمهوريتين سيستمر واستقلالهما التام متفق عليه . أما بالنسبة لمجالات التعاون بين الدول العربية فعلى رأسها « تسهيل معاملاتها وتجارتها وتقوية اقتصادياتها باعتبارها أمة واحدة ذات مصلحة مشتركة ، على ألا يحرم هذا التعاون أحدا من حريته في إدارته المالية والاقتصادية لبلاده بكامل سلطته . وبالنسبة لمجالى الثقافة والتشريع أشارت الرسالة إلى أن خطوات التوحيد فيها تراه الحكومة السعودية عملا مشكورا ، لكنها « ستمتنع عن تنفيذ أى مبدأ فى التعليم والتشريع يخالف قواعد الدين الإسلامى وأصوله » . ثم شاركت المملكة فى التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية « فى ٧ من ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ هـ / ٢٢ من مارس سنة ١٩٤٥ م (١) وقد تزامن مندوبا السعودية واليمن فى توقيع البروتوكول ثم الميثاق . وذكر أن الملك عبد العزيز كان مشيرا أو ظهيرا لاختيار عبد الرحمن عزام أمينا للجامعة لضمان أن تكون الجامعة فى « خدمة العرب ولا تسير فى ركاب السياسة البريطانية » وتوالى تأييد الملك عبد العزيز للجامعة وقراراتها بعد أن تأكد من كونها مجمعا لأعضاء متساوين ، ومن أن استقلال كل دولة من الدول الأعضاء وسيادتها لن يتعرض لأدنى مساس بهما فقد ظل محور السياسة السعودية العربية والإسلامية دائما التضامن والتعاون بين إخوة وأنداد متساوين فى السيادة والحقوق والواجبات والوقوف فى وجه محاولات فرض الإدماج والابتلاع وواصل الملك عبد العزيز دعمه للجامعة وقراراتها حتى وفاته سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م (٢) ، وشارك الجيش السعودى فى دخول الأراضى الفلسطينية مع غيره من الجيوش العربية على أثر قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨ م . وحين اضطرت هذه الجيوش إلى الرجوع إلى بلادها وعقد معاهدة الدفاع المشترك والتعاون

(١) المصدر السابق : ١١٤٦/٣ - ١١٥٠ .

(٢) الزركلى : المصدر السابق : ٧٩٩/٣ - ٨٠٠ - ١١٩٩/٣ - ١٢٠٨ .

الاقتصادى سنة ١٩٥١ م / ١٣٨٠ هـ بادرت المملكة إلى الانضمام للمعاهدة ولقد ذكر
خبير السياسة العربية فى المملكة ومؤرخها خير الدين الزركلى ما يؤكد وفاء الملك
عبدالعزیز بالتزامه منذ أن أبرمه مهما يكن تشككه وتردده قبل ذلك « وأصبح من سياسة
الحكومة العربية السعودية بعد ذلك إحكام صلتها بالجامعة والسير فى سياستها الخارجية
على النهج الذى تختطه الجامعة فيما هو من اختصاصها ، ولم تبرم حكومة الملك
عبدالعزیز طوال حياته أمرا ذا بال له علاقة بالدول العربية أو إحداها قبل الرجوع إلى رأى
جامعتها فيه ، ذلك لأن عبدالعزیز كان إذا مضى فى أمر استمر ولم يتخلف » (١) .
رحمه الله وجزاه خيرا عن صدقه وأمانته مع نفسه وأمتة والناس أجمعين وعمّا خلف
من اجتهادات رائدة هادية إلى الطريق القويم فى دروب السياسة الدولية المعاصرة .
وعلى الله قصد السبيل لمن يواصلون المسيرة فى إخلاص وجد ودأب .

(١) المصدر السابق : ١٣٠٩/٣ .

المبحث الثالث
الموقف السعودى المصرى
من قضية فلسطين
فى النصف الأول من القرن العشرين
للدكتور / شوقى عطا الله الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة القاهرة

كان لعاهل السعودية العظيم الملك عبد العزيز آل سعود - كما كان لمصر - موقف بارز واضح تجاه المشكلة الفلسطينية منذ ظهرت على حيز الوجود ، وأصبحت من أخطر وأعنف القضايا التي تواجه العرب وتقض مضجعهم في العصر الحديث .

وقبل أن نتعرض للموقف السعودي والموقف المصري من القضية الفلسطينية أجد لزاما على أن أستعرض بسرعة الظروف والملايسات التي أدت لظهور المشكلة الفلسطينية وتطورها حتى أصبحت من أخطر القضايا والمشكلات التي واجهت العالم العربي والإسلامي وما زالت تمثل إلى الآن تحديا صارخا للأمة العربية بل للعالم كله ، باعتبارها أساس القلاقل والحروب التي تعرض ويتعرض لها الشرق الأوسط في وقتنا هذا .

نشأة القضية الفلسطينية وتطورها :

ترتبط هذه القضية بالحركة الصهيونية . والصهيونية اتخذت اسمها من جبل صهيون بفلسطين .

والحركة ترمى إلى تجميع يهود العالم كله في فلسطين لتكون وطنا قوميا لليهود . وقد نشأت الحركة في القرن التاسع عشر عقب سلسلة من الاضطهادات تعرض لها اليهود في أجزاء متفرقة من العالم فجاء التفكير في الهجرة إلى فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لهم .

وقد اختيرت فلسطين بالذات على أساس ما يدعيه اليهود من أنها (أرض الموعد)^(١) وبالفعل بدأت هجرة أعداد من اليهود إلى فلسطين . وقد لقيت حركة الهجرة اليهودية هذه تعضيذا من أثرياء اليهود في الغرب مثل البارون إدموند روتشيلد (E. Rothcheld) الذين مولوا هذه الحركات .

وقد خطت الحركة الصهيونية خطوة هامة على يد هرتزل في عام ١٨٩٦م وهو نمساوي لكنه يعمل مراسلا صحفيا في باريس ، وقد كتب كتابا عن (الدولة الصهيونية) حاول فيه أن يوضح أن اليهود أمة متميزة ، لهم قوميتهم الخاصة ، ويجب أن يكون لهم وطن خاص كباقي القوميات ، وقد أنشأ هرتزل مجلة أسبوعية تنادى بأفكاره هذه .

وفي عام ١٨٩٧م دعا هرتزل لعقد المؤتمر الصهيوني الأول وعقد هذا المؤتمر فعلا في بازل بسويسرا .

(١) لمن يريد مناقشة هذه القضية بتفصيل يرجع إلى : أحمد عبد الغفور عطار : اليهودية والصهيونية - بيروت ١٩٧٣م .

وقد اتخذ هذا المؤتمر عدة قرارات هامة منها : (١)

١ - تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود .

٢ - تنشأ (منظمة صهيونية عالمية) تعمل لتهجير اليهود إلى فلسطين وقد اختير هرتزل كأول رئيس للمنظمة .

٣ - تسعى المنظمة لدى الدولة العثمانية للحصول على موافقتها ، باعتبار أن فلسطين كانت في ذلك الوقت من أملاك هذه الدولة .

وفي سنة ١٩٠٣م حدثت عدة مذابح في روسيا راح ضحيتها عدد من اليهود ، مما أدى للتفكير الجدى في تحقيق فكرة إيجاد وطن قومي لليهود ، وقد نجح هرتزل في أن يحصل من بريطانيا على عرض باتخاذ أوغندة كمكان لاستيطان اليهود (٢) .

ولما عرض الأمر على المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى عام ١٩٠٤م رفض المؤتمر هذا العرض مصراً على أن فلسطين هى المكان المناسب لذلك .

وقد أخذت الحركة الصهيونية تنتشر وتجد لها أنصاراً فى مختلف دول العالم ، وإن كان قد وجد من اليهود من أبدى معارضة لهذه الحركة على أساس أن اليهودية دين فحسب ، وأن اليهود ينتشرون فى مختلف بقاع العالم ويتمون لقوميات الدول التى يعيشون فيها .

وقد بلغت المنظمة الصهيونية درجة ملحوظة من القوة حين أصبح وايزمان - أستاذ الكيمياء بجامعة مانشستر البريطانى - رئيساً للمنظمة ، وكان مقرباً من عدد كبير من رجال السياسة البريطانيين .

وجاءت أحداث الحرب العالمية الأولى لتضيف بعداً جديداً للحركة الصهيونية ، فقد دخلت تركيا الحرب فى جانب دول الوسط (ألمانيا - النمسا - المجر) ضد الحلفاء (إنجلترا ، فرنسا ، وروسيا) فكان على الحلفاء أن يتدبروا أمر تركيا وأملاكها الشاسعة فى العالم العربى ، بل وفى أوربا أثناء الحرب وبعد الحرب .

(١) ملف وثائق فلسطين - وزارة الإرشاد القومى - الهيئة العامة للاستعلامات مصر (د . ت) .

(٢) أعلنت بريطانيا الحماية على أوغندة فى ١٨ يونية عام ١٨٩٤م لكن الأمر لم يستتب لها فيها إلا بعد فترة - انظر : MARSH , ZOE & KINGS NORTH : AN INTRODUCTION TP THE HISTORY OF EAST AFRICA (LONDON 1961) .

وفي هذه الأثناء أعلنت إنجلترا تصريحها المشهور في ٢ نوفمبر ١٩١٧م الذي عرف
بوعد بلفور على اسم وزير خارجية بريطانيا (Balfour) الذي أرسل خطاباً إلى المليونير
اليهودي لورد روتشيلد تتعهد فيه بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد ظهر أن التصريح قد عرضته بريطانيا قبل إعلانه على حلفائها وأصدقائها (فرنسا
وأمریکا وإيطاليا) فأقرته . وقد اختلف المؤرخون في الأسباب وراء هذا التصريح :

١- فقد ذهب بعضهم إلى أن الأمر يرجع إلى رغبة الحلفاء في كسب الحركة
الصهيونية التي كانت قد بلغت درجة كبيرة من الانتشار إلى جانبهم في هذه المرحلة من
الحرب .

٢ - وذهب البعض إلى أن إنجلترا كانت في ذلك الوقت بحاجة لدخول الولايات
المتحدة الأمريكية صراحة إلى جانبها في الحرب - وكان اليهود الأمريكيون يسيطرون إلى
حد كبير على الرأي العام الأمريكي - فرأت إنجلترا في هذا التصريح ما يكسبها تأييد
اليهود الأمريكيين ، مما يشجع الرئيس الأمريكي ويلسون على إعلان انضمام بلاده في
الحرب إلى جانب الإنجليز (١) .

٣ - إن الأمر يرجع إلى الأوضاع في روسيا ، فقد كانت قد بدأت فيها إرهابات
الثورة البلشفية ، وكانت إنجلترا تخشى من خروجها من الحرب فأعلنت هذا الوعد
لتكسب إلى جانبها اليهود الروس الذين كانوا يسيطرون إلى حد كبير على الصناعات
الحربية في روسيا (٢) .

٤ - وهناك رأي بأن البريطانيين كانوا يريدون الاستعانة بكتائب عسكرية من اليهود ،
ويستند هؤلاء في رأيهم إلى أن جيش النبي الذي دخل فلسطين كان يدعمه جيش
يهودي مدرب قوامه ثلاثة آلاف محارب .

وحين انتهت الحرب العظمى الأولى لصالح الحلفاء قرروا نظام (الانتداب) كبديل
لتقسيم مستعمرات الدول المنهزمة بين الدول المنتصرة ، والذي عارضه الرئيس ويلسون .
وبناء على المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم وضعت الأقطار التي كانت جزءاً من الدولة
العثمانية في إطار الانتداب من الدرجة الأولى ، فكانت العراق وشرق الأردن وفلسطين

(١) دخلت الولايات المتحدة الحرب في عام ١٩١٧ إثر شن حرب الغواصات فأغرقت العديد من مراكب الدول
الحادية التي كانت تتعامل تجارياً مع الحلفاء وفي مقدمة هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية .
(٢) أعلن هذا الرأي ليونارد ستين (L . Stein) سكرتير وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

من نصيب إنجلترا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا .

وقد صدر قرار الانتداب الخاص بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بناء على ماقدره الحلفاء فى سان ريمو فى عام ١٩٢٠م وإقرار مجلس عصبة الأمم فى عام ١٩٢٢م لهذا القرار .

وجاء صك الانتداب مشتملا على وعد بلفور السابق فقد نص صك الانتداب على^(١):

١ - جعل فلسطين وطننا قوميا لليهود .

٢ - الاعتراف بالوكالة اليهودية كسلطة رسمية تتعاون مع سلطات الاحتلال البريطانى .

٣ - تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فى الأراضى البور والأراضى الحكومية غير المطلوبة لأعمال المنافع العامة .

٤ - تسهيل حصول اليهود المهاجرين لفلسطين على الرعاية الفلسطينية .

٥ - تكون اللغة العبرية إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية لغة رسمية معترفا بها فى البلاد .

وقد رفض الزعماء العرب من البداية مبدأ الانتداب أساسا ، كما رفضوا وعد بلفور وما تبعه من نتائج ، على أساس أنه ليس لبريطانيا الحق فى أن تتصرف فى أرض لا تملكها ، وأن هذا يتعارض تعارضا جذريا حتى مع مبدأ الانتداب وأهدافه^(٢) .

ومن الجدير أن نشير أن أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين بعد الانتداب كان هربرت صموئيل (H . Samuel) وهو يهودى صهيونى بل لعل تعيينه جاء بناء على ترشيح المؤتمر اليهودى العالمى المنعقد فى لندن فى سنة ١٩٢٠ ، وقد ظل مندوبا ساميا بفلسطين حتى عام ١٩٢٥ .

وقد بذل هذا المندوب السامى جهده لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وشراء

(١) انظر قرارات عصبة الأمم : ملاحظة ذكر وايزمان فى مذكراته - أن بنحامين كوهين اليهودى الأمريكى اشترك مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية فى وضع صك الانتداب . انظر : أحمد عبد الغفور عطا : ابن سعود وقضية فلسطين ١٩٧٤ ص ١٠٥ .

(٢) كان التعبير العربى القوي عن هذا (أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق) .

الأراضي من العرب أو تجريدتهم من أراضيهم بكل السبل ، وكان أثرياء اليهود مستعدين لدفع الثمن دائما .

وفي الإحصائيات الرسمية أن عدد اليهود في فلسطين قبيل الانتداب البريطاني لم يكن يتجاوز ٥٣,٠٠٠ نسمة وأنه بلغ في عام ١٩٢٥ حوالي ١٠٣,٠٠٠ نسمة ، وما كان بأيديهم من الأراضي ارتفع من ٥٠,٠٠٠ دونم من مساحة فلسطين البالغة ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ مليون دونم إلى أكثر من مليون دونم في العام نفسه .

لقد أقر مؤتمر سان ريمو الانتداب البريطاني على فلسطين ، فبدأت بريطانيا تمارس إدارتها في فلسطين وفتحت باب الهجرة على مصراعها لليهود .

وكان على العرب أن يواجهوا هذا الموقف .

وإذا ألقينا نظرة على موقف كل من اليهود والعرب في فلسطين في ذلك الوقت نلاحظ :

أولا : فيما يتعلق باليهود :

١ - كان اليهود يلقون التأييد والمساندة من سلطات الانتداب البريطانية .

٢ - كانت الوكالة اليهودية تقدم المعونات المادية والأدبية لليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين .

٣ - كان اليهود يلقون تأييدا كبيرا من الحركة الصهيونية العالمية .

٤ - كان اليهود المهاجرون قادمين أصلا من بلدان أوربية متقدمة ، ولذا كانت لديهم الخبرة في مجالات الزراعة وغيرها مما أكسبهم تفوقا واضحا على العرب في هذه المجالات، خاصة أنه في الوقت الذي انهلك فيه العرب في المعركة السياسية ضد اليهود كان هؤلاء يوجهون جهدهم لتنمية اقتصادهم .

ثانيا : العرب بفلسطين :

لم تكن للعرب في فلسطين سلطة واحدة باسمهم ، فبينما كان المجلس الإسلامي الأعلى - وعلى رأسه الحاج أمين الحسيني مفتى بيت المقدس - يمثل الاتجاه المتشدد كانت هناك أحزاب أخرى متعددة .

وبينما كان البعض ينادى بحصر المعركة على اليهود ، كان هناك اتجاه يرى أن

الهجوم يجب أن يركز على الانتداب البريطاني باعتباره العقبة في سبيل تكوين دولة عربية مستقلة في فلسطين .

هذا وقد تطورت الأحداث في فلسطين تطورا سريعا فكثرت الاضطرابات وتعددت أسباب الاحتكاك بين العرب واليهود فشهد عام ١٩٢٠ م مظاهرات عارمة ، كما تجددت الاضطرابات في عام ١٩٢٩ م إثر حادث حائط المبكى واعتداء بعض اليهود في المسجد الأقصى على المصلين وقتل عدد منهم .

موقف المملكة العربية ومصر من هذه الأحداث :

أتاح نجاح الملك ابن سعود في أن يوطد سلطانه على شبه جزيرة العرب - بحيث أصبح أكبر حاكم عربي مستقل تمتد مملكته من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا- الفرصة لأن يوجه اهتمامه للقضية الفلسطينية .

وقد هزت أحداث المسجد الأقصى في أكتوبر ١٩٢٩ الملك العربي ، فأرسل إلى بريطانيا مستنكرا اعتداءات اليهود على المسلمين المصلين (١) .

وأدى هذا الموقف إلى أن أرسلت إنجلترا لجنة شو (show) إلى القدس للتحقيق في الأحداث التي حدثت ، وقد أثبت تقرير اللجنة أن ما يقال من أن مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني واللجنة التنفيذية العربية هي المسئولة عن أعمال الشغب هذه ، افتراء ليس صحيحا (٢) .

وقد أدت الأحداث في فلسطين وتدفق اليهود المهاجرين خاصة - بسبب اضطهاد هتلر لليهود - إلى اشتداد الثورة العربية في فلسطين في عام ١٩٣٦ م ، وقد طلبت الحكومة الإنجليزية من الملك ابن سعود وباقي حكام العرب التدخل لنصح الفلسطينيين العرب بالخلود إلى السكنية حتى يمكن دراسة مطالبهم . وقد قبل العرب هذا الأمر على شرط وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وقد خفضت بريطانيا الأعداد المسموح بهجرتها قانونا من ٤,٥٠٠ مهاجرا إلى ١,٨٥٠ مهاجرا كما أرسلت لجنة عرفت (باللجنة الملكية) برئاسة اللورد بيل (Peel) للتحقيق في أسباب الاضطرابات وتقديم المقترحات ، وقد نشر تقرير لجنة بيل في ٨ يوليو ١٩٣٧ م . وقد اقترحت اللجنة تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق : منطقة عربية ، ومنطقة يهودية ، ومنطقة محايدة تشمل القدس وبيت لحم

(١) انظر رسائل الملك في هذا الخصوص : أحمد عبد الغفور العطار : مرجع سابق ص ١٢٤ وما بعدها .

(٢) انظر تقرير اللجنة في : الموسوعة الفلسطينية - الأرض المقدسة ج ٢٥ .

تبقى تحت الانتداب البريطانى ، وعملت خرائط توضح حدود كل قسم من الأقسام الثلاثة.

وقد قبل اليهود من جانبهم مقترحات لجنة التقسيم ، بينما عارضها العرب وأرسلت اللجنة العربية العليا فى ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧م وفدا إلى الرياض لمقابلة الملك ابن سعود لتوضيح موقف عرب فلسطين من قرار التقسيم .

وقد قابل الملك ابن سعود الوفد العربى وناقش معه الموقف ، وتم النصيح بالآ يقف العرب موقفا سلبيا بل يحسن أن يتصلوا باللجنة الملكية البريطانية ويشرحوا لها موقفهم بالتفصيل . وفى نفس الوقت أمر الملك السعودى بتأليف لجنة فى كل مدن وقرى المملكة السعودية أطلق عليها (لجنة فلسطين) لمساندة الشعب الفلسطينى فى محنته وتقديم المعونة له بالإضافة إلى المعونة الحكومية .

وقد تعددت رسائل الملك ابن سعود لبريطانيا يقترح فيها وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ووضع تشريع لمنع انتقال الأرض من العرب إلى اليهود ، ومحاولة تفهم وجهة نظر العرب وذلك لكى تكسب إنجلترا صداقة العرب لها .

• وفى ٨ سبتمبر ١٩٣٧م عقد مؤتمر شعبى فى بلودان فى سورية حضرته وفود عربية من مختلف البلاد العربية وقد قرر هذا المؤتمر الشعبى (١) :

١ - رفض مبدأ التقسيم ومعارضة إنشاء دولة يهودية .

٢ - المطالبة بإلغاء الانتداب .

٣ - المطالبة بوقف هجرة اليهود إلى فلسطين .

٤ - استصدار تشريع لمنع انتقال الأرض من العرب إلى اليهود .

٥ - اعتبار وعد بلفور باطلا .

• وقد تبودلت الخطابات أيضا بين الملك ابن سعود وبين الرئيس الأمريكى روزفلت بخصوص قضية فلسطين ، وقد أوضح الملك بكل صراحة فى خطابه أنه وبلاده يقفون وراء عرب فلسطين أصحاب الحق الواضح فى بلادهم ، وأنهم لا يقبلون أن يهضم حق العرب الصريح ، الذى هو مثل الشمس بمغالطات تاريخية أو نظريات اجتماعية

(١) انظر قرارات مؤتمر بلودان (ملف وثائق فلسطين - وزارة الإرشاد القومى بالقاهرة) .

واقتصادية من قبل اليهود والصهيانية .

هذا ، وأشير إلى أن انشغال الحكومة المصرية منذ ثورة ١٩١٩م وتطور العلاقات بين مصر وبريطانيا بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م من جانب واحد لم يتيح الفرصة كاملة للجهات الرسمية في مصر لتقدم العون اللازم لعرب فلسطين في نضالهم ، لكن لم يمنع هذا الشعب المصري من أن يعبر عن طريق الصحافة الوطنية ، وعلى لسان الخطباء في المساجد ورجال الأزهر الشريف عن تضامنه الكامل مع الشعب الفلسطيني في محنته .

وجاءت الأحداث التي تلت مقتل السير لى ستاك سردار الجيش المصري ، واستقالة وزارة سعد زغلول لتزيد من ارتباط الأحداث في مصر .

وقد ظلت الأحوال كذلك وتعددت المفاوضات مع إنجلترا حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦م (١) .

وفي عام ١٩٣٧م لجأت بريطانيا لإجراء مماثل لما فعلته مع الزعماء المصريين في ثورة ١٩١٩م ، فقد قامت بنفى خمسة من زعماء اللجنة العربية إلى جزيرة سيشل ، كما عزلت الحاج أمين الحسيني من منصبه كرئيس للمجلس الإسلامي الأعلى ، واضطر المفتي للفرار من فلسطين إثر قرار الإنجليز بالقبض عليه .

هذا ، وقد شارك وفد شعبى مصرى فى مؤتمر بلودان فى سوريا عام ١٩٣٧م ، على أن الظروف الدولية المتوترة فى عام ١٩٣٩م أدت إلى أن تحاول إنجلترا كسب العرب إلى جانبها فى الحرب المنتظرة ، كما أن إنجلترا كانت مضطرة لأن تعمل حساب الحكومات العربية التى ترتبط معها بمحالفات والتى تقع هى نفسها تحت ضغط شعوبها (٢) .

ولذا دعت إنجلترا فى عام ١٩٣٩م إلى مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن لبحث القضية الفلسطينية وقد دعى للمؤتمر ممثلون من العراق ومصر والمملكة العربية السعودية وشرق الأردن واليمن .

واضطرت إنجلترا للإفراج عن أعضاء اللجنة العربية العليا المنفيين فى سيشل للمشاركة فى المؤتمر .

(١) لمن يهمه تفاصيل هذه الأحداث يرجع إلى : محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ القاهرة ١٩٥٠ .

(٢) ارتبطت إنجلترا بمحالفة مع العراق فى ١٩٣٠م ، ومع مصر كما ذكرنا فى ١٩٣٦م .

وكان الوفد اليهودى الذى ائتمرك فى هذه المحادثات مؤلفا من عدد من أعضاء الوكالة اليهودية ، بالإضافة إلى بعض زعماء الصهاينة فى أوروبا والولايات المتحدة ورأس الوفد الدكتور وايزمان .

وقد رفض الوفد العربى الاجتماع على مائدة واحدة مع الوفد الصهيونى ، مما ترتب عليه أن أصبح على الوفد البريطانى أن يجتمع بكل من الجانبين على حدة واستمر المؤتمر شهرى فبراير ومارس ١٩٣٩ م ولم يحقق أية نتيجة .

الكتاب الأبيض البريطانى وموقف الدولتين منه (١) :

فى ١٧ مايو سنة ١٩٣٩م أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض ، وقد حاولت بريطانيا فى هذا الكتاب أن تسترضى العرب إلى حد ما ، فقد أشارت فى هذا الكتاب إلى تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بـ ٧٥٠٠٠ يهودى خلال الخمس سنوات المقبلة بعدها توقف الهجرة تماما ، وفيما يتعلق بالأرض قسمت أرض فلسطين إلى ثلاث مناطق : منطقة يسمح فيها بتحويل الأراضى من يد العرب إلى أيدي اليهود ، ومنطقة ثانية يسمح فيها بهذا التحويل فى حدود ، ومنطقة ثالثة يحرم فيها بيع الأراضى لليهود .

وقد رفضت الحكومات والشعوب العربية هذا الكتاب ؛ لكنها رأت فيه تراجعا من الحكومة البريطانية عن سياسة الباب المفتوح ، بينما رأى فيه اليهود خروجا عن صك الانتداب وعن وعد بلفور فهاجموه بعنف .

لكن انشغال العالم بالحرب العالمية الثانية جعل الطرفين يخلدان إلى حد كبير للهدوء، ونجحت بريطانيا فى تهدئة العرب ومنع قيامهم بثورة ضدها فى وقت كانت كل جهودها مركزة على الحرب .

لكن اليهود - وقد ثبتوا أقدامهم فى فلسطين - اتجهوا منذ عام ١٩٤٢م إلى تحقيق أطماعهم بالقوة مستخدمين السلاح ضد العرب وضد الإدارة الإنجليزية فى فلسطين ، فقد شنوا حملة إرهابية اصطلى الإنجليز بنارها كما اصطلى العرب بها .

ولقد شجع اليهود على ذلك :

١ - الهزائم التى منى بها الألمان النازيون ، والذين كانوا من ألد أعداء اليهود .

(١) بشأن نصوص هذا الكتاب (الإعلان البريطانى) يرجع للوثائق البريطانية المنشورة .

٢ - موافقة إنجلترا على تكوين لواء يهودى اشترك فى المراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية ، بينما لم يغفر العرب لبريطانيا موقفها فى فلسطين فلم يقدموا لها ما كانت تنتظره من معونة فى ميدان الشرق الأوسط .

٣ - دخول الولايات المتحدة الحرب فى صف الحلفاء، وضغوط الصهيونية الأمريكية لصالح اليهود .

وفى ظل هذه الظروف أصدر اليهود ما عرف ببرنامج بيلتمور-Biltmore Pro (gram وهو يطالب (١) :

١ - بإنشاء دولة يهودية تضم فلسطين .

٢ - تكوين جيش يهودى .

٣ - فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية دون قيد .

٤ - رفض الكتاب الأبيض البريطانى .

وتطورت أطماع اليهود فأصبحوا لا يطالبون بوطن قومى لهم فى فلسطين بل بإنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى السند الأول لليهود وليست بريطانيا ، وظهر ذلك حتى فى مناقشات الكونغرس الأمريكى نفسه .

وقد تعددت خطابات الملك عبد العزيز بن سعود للرئيس روزفلت ، يوضح فيها حق العرب الواضح فى فلسطين ويفند ادعاءات الصهاينة .

فاليهود - كما ذكر الملك ابن سعود فى رسالته - ليس لهم أى حق فى فلسطين (٢) .

وقد رأى الرئيس روزفلت بعد هذه المراسلات المتعددة مع العاهل السعودى وتقديرًا منه لما للملك من مكانة لدى العرب فى جميع الأقطار ، وللدور الذى يمكن أن يقوم به لإيجاد حل لقضية فلسطين أن يقابل الملك نفسه ، ولذا قرر الرئيس الأمريكى أن يتم هذا اللقاء بعد مؤتمر مالطة الذى عقد بين روزفلت وتشيرل .

(١) عقد مؤتمر بيلتمور فى مايو ١٩٤٢م فى نيويورك وحضره حوالي ٦٠٠ عضو من الوكالة اليهودية ولجنة الطوارئ الأمريكية ، ومن الذين حضروه وايزمان ، وابن جوريون . انظر : Ben - Gurion , David : Is-trel , Years of challenge N . Y . 1936) P26 .

(٢) انظر خطابات الملك إلى الرئيس روزفلت فى ١٠ مارس ١٩٤٥م ورد الرئيس روزفلت فى ١٥ مارس ١٩٤٥م - ورد الرئيس روزفلت فى ١٥ إبريل ١٩٤٥م - أحمد عبد الغفور العطار : مرجع سابق ١٧٤ ومابعدها .

وقد تم هذا اللقاء فى ١٥ فبراير ١٩٤٥م على ظهر الباخرة الأمريكية كرينسى فى البحيرات المرة بمصر ، وقد حضر المقابلة ولیم إيدى الوزير المفوض الأمريكى بجدة وقد نشر تفاصيل ما دار فى هذه المقابلة .

ومما ذكره أن الرئيس الأمريكى لم يستطع أن يثنى الملك عن موقفه قيد أنملة ، فقد رفض الملك السماح بدخول أى عدد آخر من اليهود إلى فلسطين ، فقد ذكر « إن القول بأن اليهود هم الذين نجحوا فى العمل على ازدهار المنطقة التى يسكنونها ليس صحيحا ، فإن ذلك لم يتم إلا بفضل رؤوس الأموال الأمريكية والإنجليزية ، والعرب لا يسمحون لليهود بأى توسع آخر فى فلسطين للتوطن فى المستقبل » .

« وأن حل مشكلة اضطهاد الألمان لليهود لا يجب أن تكون على حساب العرب فالظالم عليه أن يدفع الثمن لا العرب الأبرياء » (١) .

ولقد كان لمقابلة الملك السعودى للرئيس الأمريكى أثرها فقد صرح الرئيس الأمريكى بعد المقابلة بقوله : « إن ما عرفته من ابن سعود عن فلسطين فى خمس دقائق أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة » (٢) .

وقد كانت هناك مكاتبات أخرى بين الرئيس الأمريكى والعاقل السعودى آخرها فى ١٥ أبريل سنة ١٩٤٥م ، أى قبل وفاة الرئيس روزفلت بأسبوع واحد .

وقد تعهد الرئيس روزفلت فى رسائله للعاقل السعودى بأنه لا يقدم على أمر فيما يتعلق بقضية فلسطين يغضب العرب ويفقد الولايات المتحدة الأمريكية صداقتهم .

وكما سنرى أن هذه الوعود التى أعطيت للعرب لم توضع موضع التنفيذ ، وكانت قوة الصهاينة الأمريكيين وتأثيرها على مجريات الأمور فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى رسم سياسة أمريكا الخارجية أقوى من وعود رؤساء الولايات المتحدة للزعماء العرب .

هذا ، وقد حرص رئيس الوزراء البريطانى المستر ونستون تشرشل من جانبه على أن يجتمع هو الآخر بالعاقل السعودى لمعرفة رأيه فى القضية الفلسطينية .

(١) Eddy , W . R . : F . D . R . : Meets Bnsaud (N . T . 1945) .

(٢) كذلك نشر اللورد كيلفرن - الذى كان فى ذلك الوقت سفير بريطانيا فى مصر فى مذكراته تفاصيل هذه المقابلة وقد نشرت مجلة آخر ساعة المصرية فى ١٨ أبريل ١٩٧٢م بعض ما جاء فى هذه المذكرات عن هذه المقابلة .

وقد تم هذا اللقاء فى ١٧ فبراير ١٩٤٥ م فى أوبرج الفيوم فى مصر - ولعل مذكرات اللورد كيلفرن - التى أشرنا إليها من قبل - توضح ما تم فى هذا اللقاء (١) .

فقد شرح العاهل السعودى لرئيس الوزراء البريطانى مادار من حديث مع الرئيس الأمريكى عن قضية فلسطين ، وشرح موقف العرب الواضح من هذه القضية ، ووضع أن العرب يريدون صداقة بريطانيا ، ولكن لا شئ يستطيع تمزيق هذه الصداقة والإضرار بها أكثر من وقوع أعمال اضطهاد للعرب فى فلسطين ، والإضرار بحقوق المسلمين . وأشار العاهل السعودى إلى أن اليهود أصبحوا فى فلسطين خطرا على الإسلام وعلى الصداقة العربية الإنجليزية أيضا .

وأشار العاهل السعودى « إلى أنه ليس من المفهوم أو المعقول أن يقتل النازيون اليهود ويطردونهم ثم يعاقب العرب على هذا ؟ » .

هذا ، ونشير إلى أن الجماعات اليهودية المتطرفة كانت قد أخذت تثبت أقدامها فى فلسطين ، وتمارس فيها عملياتها الإرهابية ضد العرب بل وضد الإنجليز .

نذكر من هذه المنظمات اليهودية المتطرفة منظمة (أرجون) و (اشترن) ومجموعة (الهاجاناه) ، وقد تعددت أعمال هذه الجماعات الإرهابية فى فلسطين (٢) .

وعندما تكونت جامعة الدول العربية فى مارس ١٩٤٥ م ، واشتركت فيها سبع دول عربية مستقلة فى ذلك الوقت هى : مصر ، المملكة العربية السعودية ، العراق ، الجمهورية السورية ، وشرق الأردن ، لبنان ، اليمن - طالب الملك ابن سعود أن يكون لفلسطين صوت فى الجامعة ، وبناء على ذلك وضع ملحق بميثاق الجامعة خاص بفلسطين يضى عليها صفة الدولة التشريعية ويعطى للفلسطينيين حق الاشتراك رسميا فى الجامعة ولجانها ومؤتمراتها ومختلف أوجه نشاطها ، أسوة بالدول العربية الأخرى المستقلة .

ويلزم هذا من يتولى مجلس الجامعة باختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى

(١) مذكرات اللورد كيلفرن السابق الإشارة إليها .

(٢) الهاجاناه - كلمة عبرية تعنى الدفاع وقد تحولت إلى منظمة عسكرية تتبع الوكالة اليهودية وقدر عدد أفرادها فى عام ١٩٤٥ م بحوالى ٧٠.٠٠٠ جندى . وقد أصدرت وزارة المستعمرات البريطانية فى يولييه ١٩٤٦ م بيانا إعلاميا عن أعمال العنف التى اقترفتها هذه الجماعات الصهيونية وفى ٢ نوفمبر ١٩٣٣ م قتلت عصابات اشترن (لورد موين) وزير الدولة لشئون الشرق الأوسط فى القاهرة - كما قتلوا عشرات من الموظفين المدنيين والعسكريين البريطانيين فى فلسطين .

أعماله (١) ، وبذا أصبحت الجامعة العربية مسئولة عن قضية فلسطين ، وبذا لم يعد عرب فلسطين يناضلون وحدهم ضد الغزو الصهيوني لأراضيهم ، بل أصبح على الجامعة العربية ودولها التزام بمساندة عرب فلسطين في نضالهم ، وهكذا أصبحت المشكلة الفلسطينية مسئولة الأمة العربية كلها .

ومنذ عام ١٩٤٥م شاركت الجامعة العربية في مختلف ما ارتبط بالقضية الفلسطينية من نشاطات ، فساند رأي الجامعة العربية في لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية ، ولجنة التحقيق الدولية التي انبثقت عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٦م ، وشاركت في مؤتمر لندن الذي عقد في هذا العام أيضا (٢) .

لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية وموقف الدولتين منها :

ألقت الولايات المتحدة الأمريكية بثقلها في القضية الفلسطينية . ففي ٣١ أغسطس ١٩٤٥م وجه الرئيس ترومان الذي خلف الرئيس روزفلت خطابا إلى كليمنت إتلى ، الذي كان قد تولى رئاسة الوزارة البريطانية ، يطلب فيه السماح لمائة ألف لاجئ يهودي ، من الذين عاثوا الاضطهاد على يد النازيين وغيرهم ، بدخول فلسطين .

فرأت بريطانيا أن تحمل الولايات المتحدة الأمريكية جزءا من المسؤولية ، فاقترحت تشكيل لجنة تحقيق من الدولتين تقوم بزيارة معسكرات اللاجئين اليهود في ألمانيا والنمسا وغيرها ، ثم تقوم بجولة في فلسطين ، وبعدها يمكن وضع مقترحاتها .

وقدمت اللجنة تقريرها فعلا للدولتين في أبريل ١٩٤٦م وكانت مقترحاتها تتلخص في :

١ - ضرورة بقاء الانتداب البريطاني في فلسطين ، حتى تتم هيئة الأمم المتحدة بحث الوضع فيها .

٢ - السماح بإدخال ١٠٠.٠٠٠ لاجئ يهودي في فلسطين من ضحايا النازية .

٣ - إلغاء القيود على انتقال أراضي العرب إلى اليهود .

(١) لمن يريد الاطلاع على هذا الملحق يرجع إلى ميثاق الجامعة العربية - وهو منشور ضمن وثائق جامعة الدول العربية ١٩٤٥م .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Alem , Jean Pierre : Juifa et Arabes (Paris 1971) .

وبعد دراسة الحكومتين لهذه المقترحات وضعت لجنة مشتركة عرفت بلجنة جرادي موريسون (GRADY - MARRISON) مشروعا يقضى :

١ - بقيام دولة اتحادية بين اليهود والعرب معا .

٢ - تتم هجرة اليهود بموافقة اليهود والعرب معا .

وقد قوبل هذا المشروع الجديد باستياء شديد من الحركة الصهيونية ، التي دعت لعقد مؤتمر صهيوني عالمي في بازل لبحث الموقف في فلسطين وموقف إنجلترا وأمريكا منه .

هذا ، وأشير إلى أن العاهل السعودي تابع اتصالاته بالمسؤولين الأمريكيين في محاولة لكسب أمريكا إلى جانب الحق العربي ، بعد أن أصبح لها ثقل دولي بعد الحرب الثانية ، وأصبح اليهود يعتمدون عليها أكثر من بريطانيا لتحقيق أطماعهم .

ولذا تعددت المراسلات بين العاهل السعودي والرئيس الأمريكي ترومان ، خاصة بعد أن تلقى الملك ابن سعود من الحكومة الأمريكية تقرير اللجنة البريطانية الأمريكية (١) . وقد تصدى العاهل السعودي في خطابه مناقشة قرارات اللجنة ، مثنيا أنها لا تقوم على أساس سليم ، ولا يمكن أن تسهم في حل القضية الفلسطينية .

وقد اتخذ ملوك العرب ورؤسائهم قرارات متتالية بمساندة حق عرب فلسطين ، وكان لممثلي مصر والسعودية دور حاسم في المناقشات التي جرت في مؤتمر أنشاص بمصر في مارس ١٩٤٦ م ، وفي مؤتمر بلودان الذي عقدته الجامعة العربية في يونيو ١٩٤٦ م ، وقد أصر فيه المجتمعون على معارضة إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وعلى معارضة استمرار هجرة اليهود إليها وانتقال الأراضي من يد العرب إلى يد اليهود ، وطالبوا بإلغاء الانتداب البريطاني وجعل فلسطين دولة عربية مستقلة (٢) .

الأمم المتحدة وقضية فلسطين وموقف الدول العربية في المنظمة الدولية :

قررت الحكومة البريطانية إزاء تأزم الموقف وعدم الوصول إلى حل حاسم إحالة القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة .

وقد طالبت بريطانيا في ٢ أبريل سنة ١٩٤٧ م عقد دورة خاصة للجمعية العامة للنظر في هذه المسألة .

(١) انظر هذه الخطابات المتبادلة في : أحمد عبد الغفور العطار : مرجع سابق ٢١٧ وما بعدها .

(٢) جامعة الدول العربية - القرارات عام ١٩٤٦ م .

وقد قررت الجمعية العامة تأليف لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة لبحث مشكلة فلسطين ، وكانت اللجنة تتألف من ١١ دولة برئاسة عضو سويدي .

وزارت اللجنة فلسطين ، وقدمت بعد ذلك تقريرها إلى الجمعية العامة . وقد اشتمل التقرير على توصيات عامة وافق عليها جميع أعضاء اللجنة وتتلخص في :

١ - ضرورة إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين .

٢ - منح فلسطين الاستقلال ، على أن تسبقه مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة في أثنائها مسؤولة أمام منظمة الأمم المتحدة .

٣ - المحافظة على الوحدة الاقتصادية في فلسطين باعتبار ذلك ضروريا لحياة البلاد وسكانها ، لكن حدث خلاف بين أعضاء اللجنة بخصوص تقسيم فلسطين .

فقد اقترح فريق تقسيم فلسطين إلى دولتين (١) :

دولة عربية : تتألف من الجليل الغربي ، ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من إسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية ، وتدخل ضمن هذا الجزء منطقة الجليل ، وجبل القدس وغور الأردن .

دولة يهودية : تتألف من الجليل الشرقي ، ومرج ابن عامر ، والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب .

على أن تصبح الدولتان مستقلتين بعد مرحلة انتقال ، قدرت لها سنتان ابتداء من سبتمبر ١٩٤٧ م ، على أن يقوم اتحاد اقتصادي بين الدولتين .

أما منطقة القدس : فتوضع تحت نظام الوصاية الدولية على أن تدخل ضمن الاتحاد الاقتصادي .

أما الفريق الثاني : فقد اقترح أن تقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالاً ذاتياً تتألف منهما دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس .

وقد ساند هذا المشروع كل من مندوبي الهند وإيران ويوغسلافيا .

وقد كان لمندوب المملكة العربية السعودية ومندوب مصر في الجمعية العامة نشاط بارز في محاولة لكسب أصوات جمهوريات أمريكا الجنوبية بالذات للجانب العربي .

(١) انظر خريطة التقسيم الذي اقترحه اللجنة .

ولكن فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م قررت الجمعية العامة :

١ - الموافقة على قرار اللجنة التى اقترحت تقسيم فلسطين .

٢ - الموافقة على قرار بريطانيا بإنهاء الانتداب على فلسطين فى أول أغسطس سنة ١٩٤٨م .

٣ - توفد هيئة الأمم المتحدة لجنة لتنفيذ التقسيم .

وقد وافقت على هذا القرار ٣٣ دولة ورفضته ١٣ دولة هى : مصر ، المملكة العربية السعودية ، العراق ، لبنان ، سوريا ، اليمن ، كذلك أفغانستان ، كوبا ، اليونان ، الهند ، إيران ، باكستان ، تركيا - وامتنعت عن التصويت عشر دول (١) .

وقد جاء قرار التقسيم هذا مخيبا لآمال العرب واعتبروه خيانة من الدول الكبرى التى أبدته .

ورأت المملكة العربية السعودية فيه نكثا لوعود الرئيس روزفلت بالذات ، الذى صرح أكثر من مرة فى خطباته للملك عبد العزيز بأن أى حل للمسألة الفلسطينية لن يتم إلا بعد أخذ رأى العرب واليهود معا .

هذا ، وقد حددت بريطانيا ١٥ مايو عام ١٩٤٨م موعدا لإنهاء انتدابها على فلسطين ، وفى اليوم نفسه أعلن المجلس القومى اليهودى المنعقد فى تل أبيب قيام دولة إسرائيل . وبعد ذلك بساعات أعلن ترومان رئيس الولايات المتحدة اعتراف دولته بدولة إسرائيل .

وفىما يتعلق بالعرب كان مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى بيروت فى أكتوبر ١٩٤٧م قد بحث الموقف فى فلسطين من الناحية العسكرية .

١ - وقد أوصى المجلس بالإسراع بتقديم المعونة المادية والمعنوية إلى العرب فى فلسطين .

٢ - كما قرر أن ترصد دول الجامعة من فورها الأموال اللازمة لذلك .

٣ - كذلك تقرر تأليف لجنة فنية عسكرية لتهيئة وتنظيم وسائل الدفاع وتدريب الفلسطينيين .

(١) انظر قرارات الأمم المتحدة - لعام ١٩٤٨م .

٤ - كما تقرر حشد فرق من الجيوش المصرية والسورية واللبنانية والعراقية على حدود فلسطين (١) .

وقد اتخذت اللجنة الفنية العسكرية (دمشق) مركزا رئيسيا لها ، وبدأت حركة واسعة النطاق للتطوع في البلاد العربية .
وبمجرد إعلان المجلس القومى اليهودى قيام دولة إسرائيل دخلت الجيوش العربية فلسطين .
وكان من الواضح أن كفة العرب هي الراجحة .

حرب ١٩٤٨ م :

كانت الجيوش العربية التي خاضت حرب ١٩٤٨م تتألف من الفيلق العربى ، والقوات العراقية التي كان عليها أن تعبر صحراء سوريا لتصل إلى فلسطين .
وكانت القوات النظامية السورية واللبنانية تؤيدها قوات المتطوعين التي أطلق عليها «جيش التحرير العربى» بقيادة فوزى القاوقجى .

وكان عرب فلسطين تحت قيادة عبد القادر الحسينى ابن أخ المفتى ، ولم يستطع العاهل السعودى أن يقود جيشه الذى كان قد أعده لدخول فلسطين ، لأن بين السعودية وفلسطين تقع المملكة الأردنية الهاشمية ، فاكتفى بإرسال قوة نظامية من ألف ومائتى جندي سافرت عن طريق مصر .

وكانت القوة الرئيسية للجيش اليهودى من قوة الهجاناه ، وكانت القيادة الإسرائيلية تحت إمرة يامسكوف دورى (YASKOV DORI) والكولونيل يجال يادين (YIGAL YADIN) .

وفي المرحلة الأولى للقتال استطاعت القوات العربية أن تنزل هزائم متعددة باليهود ، وأحدثت الغارات الجوية المصرية والسورية على تل أبيب والمستوطنات اليهودية كثيرا من الدمار وأصبحت القوات المصرية على بعد أميال معدودة من تل أبيب ذاتها ، بينما كانت القوات العربية الأخرى تحوز تقدما ملموسا ، لكن لم تلبث الدول الكبرى أن تدخلت لإنقاذ اليهود فقد أصدر مجلس الأمن قرارا بوقف الحرب .

(١) انظر قرارات الجامعة العربية ١٩٤٨ م .

ودامت هذه الهدنة الأولى أربعة أسابيع من ١١ يونية إلى ٩ يوليو ١٩٤٨ م ، تمكن اليهود في أثنائها من إعادة تنظيم صفوفهم وتعزيز تحصيناتهم واستكمال تسليحهم .

وعندما استؤنفت المعارك في ٩ يوليو ١٩٤٨ م ظهر أثر التعزيزات الجديدة ، كما أن جلوب باشا قائد الفيلق العربى تدخل ليصدر الملك عبد الله قائد الجيوش العربية في فلسطين أوامره إلى الكتائب الأردنية والعراقية بالانسحاب من اللد والرملة ، ورأس العين ، ومرج ابن عامر والجليل الغربى ، مما ترتب عليه أن أصبح موقف الجيش المصرى على وجه الخصوص حرجا (١) .

واتخذ مجلس الأمن في ١٥ يوليو ١٩٤٨ م قرارا بوقف القتال واستمرت هذه الهدنة الثانية من ١٨ يوليو إلى ١٤ أكتوبر ١٩٤٨ م .

واستؤنف القتال مرة ثالثة واستطاعت القوات المصرية أن توقع الهزيمة باليهود في دير البلح في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ م ، واضطرت مصر أخيرا للدخول فى مفاوضات مع اليهود لعقد هدنة دائمة .

وجرت المفاوضات فى جزيرة رودس بإشراف رالف باش الوسيط الدولى ، وعقدت الهدنة التى عرفت « باتفاقية رودس » فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ م . وقد قام اليهود بتأسيس دولة إسرائيل فى الأراضى التى كانوا قد سيطروا عليها ، بينما وضعت الأردن يدها على الضفة الغربية لنهر الأردن التى كانت قد احتلتها جيوشها منذ ديسمبر ١٩٤٨ م ، أما مصر فقد أصبحت تدير قطاع غزة .

وتطورت الأحداث بعد ذلك فقد أجبرت القوات اليهودية العرب على ترك بلادهم ، فأصبحوا لاجئين فى البلاد العربية المجاورة .

وفى ١٨ سبتمبر ١٩٤٨ م قدم الوسيط الدولى - الكونت برنادوت - للجمعية العامة طلبا يدعو فيه بعودة جميع اللاجئين الفلسطينيين إلى بلادهم ، وبناء على ذلك أصدرت الأمم المتحدة قرارا بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨ م ، كما أصدرت قرارا ثانيا فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٨ م ، وقرارا ثالثا فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ م ، وذلك بخصوص عودة

(١) Safran , Nadan : from War to war ; The Arab Israeli Cinfintion 1948 - 1967 (N . Y) 1969) P . 29 .

اللاجئين الفلسطينيين إلى بلادهم وإنشاء وكالة لإغاثتهم (١) .

ولم تنقيد إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة ولم تنفذها. هذا ، وأشير إلى أن أحداث فلسطين هذه كان لها صداها في العالم العربي كله .

ولم تنه في الحقيقة حرب ١٩٤٨م الوضع بين العرب وإسرائيل ، بل لم تكن نهاية الحروب بينهم ، بل تنالت الأحداث فيما بعد وترتب عليها عدة حروب .

وما زالت المشكلة الفلسطينية تؤرق العالم العربي ، بل ومازال اليهود أنفسهم يشعرون بأن الوضع غير مستقر وما كسبوه بالقوة والبطش لم ينجح في أن يخلق لهم دولة مستقرة آمنة .

(١) قرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨ م . هذا وأشير إلى أن اليهود تقموا على الوسيط الدولي الكونت برنادوت واغتالوه فيما بعد .

أهم مصادر ومراجع البحث

- ١ - ملف وثائق فلسطين - وزارة الإرشاد القومي المصري (د . ت) .
- ٢ - مذكرات اللورد كيلفرن (نشرت بها مجلة آخر ساعة المصرية ١٩٧٢م) .
- ٣ - جامعة الدول العربية - ميثاق الجامعة .
- ٤ - جامعة الدول العربية - قرارات مجلس الجامعة عام ١٩٤٦م - ١٩٤٧م - ١٩٤٨م .
- ٥ - عصبة الأمم - قرارات العصبة .
- ٦ - قرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨م .
- ٧ - الوثائق البريطانية .
- ٨ - وزارة المستعمرات البريطانية - بيان إعلانى عن أعمال العنف فى فلسطين ١٩٤٦م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة : بقلم الأستاذ الدكتور / عبد الله التركي	٥
المبحث الأول	
أحوال العالم الإسلامي المعاصر	
في عهد الملك / عبد العزيز آل سعود	
المحاور الثلاثة :	١٤
أولاً : الاستعمار والحروب الصليبية	١٦
ثانياً : الاستعمار والأرض	١٨
ثالثاً : الاستعمار والغزو الفكرى	١٩
مراجع المبحث	٣٣
المبحث الثانى	
السياسة الخارجية	
في عهد الملك / عبد العزيز	
آراء معاصرة حول الخلافة :	٤٠
توثيق العلاقات مع الدول الإسلامية وعقد المعاهدات معها	٤٢
الملك عبد العزيز ومشروعات الإدماج السياسى	٤٦
مشروع الجامعة العربية	٤٩
المبحث الثالث	
الموقف السعودى المصرى	
من قضية فلسطين	
نشأة القضية الفلسطينية وتطورها	٥٧
الأمم المتحدة وقضية فلسطين وموقف الدول العربية فى المنظمة الدولية	٧٠
مراجع المبحث	٧٧
الفهرس	٧٩

رقم الإيداع: ٤١٣٣/١٩٩٤م

I.S.B.N : 977-255-089-x

مطابع الوفاء 'المندبة'

شارع الإنعام محمد عبده المواجه لكتبة الآداب

ب : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب. : ٢٣٠

نكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤